

عنوان البحث

الكلمة والأسلوب  
في الإعجاز القرآني عند الخطّابي

حسني السيد محمد التلاوي  
مدرس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية  
للبنين بالقاهرة

"أَلَا الَّذِي يُوجِبُ الْأَهْتِمَامَ التَّامَّ بِمَعْرِفَةِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ

أَنْ نَبُوءَةَ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ السَّلَامُ بُنِيَتْ عَلَى هَذِهِ الْمَعْجِزَةِ"

أبو بكر الباقلاني

بِأَيِّهَا الْأَمْرُ حَسْبُكَ رُبَّةٌ وَالْعِلْمُ أَنْ دَانَتْ بِكَ الْعُلَمَاءُ

الذِّكْرُ آيَةُ رَبِّكَ الْكَبِيرِ التَّوْحِيدِ فِيهَا لِبَاغِيهِ الْمَعْجِزَاتِ عَنَاءُ

أَمِيرُ الشُّعْرَاءِ

## بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

### مقدمة

الحمد لله حمداً يوافق نعمة التي لا تعدُّ ولا تحصى ، نحمده  
- سبحانه - حتى يرضى ، ونحمده بعد الرضا ، ونصلي ونسلم على خاتم  
أنبيائه ورسوله ، سيدنا محمد النبي الأمي ، الذي بعثه الله تعالى إلى الناس  
عامّة ، وأيده بمعجزات ، خلّد - سبحانه - الكبري منها إلى يوم الدين ،  
أما بعد :

فمنذ بدأ البحث في مصطلحات " الإعجاز " و " المعجزة "  
و " التحدي " على يد " أبي إسحاق إبراهيم بن سيار النّظام " ( ت ٢٣١ هـ )  
و " أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ " ( ت ٢٥٥ هـ ) والعلماء  
مختلفون في تلك الوجوه عدداً وقبولاً ، ومن أول ما وصل إلينا من مؤلفات  
في ذلك رسالة أبي سليمان حمّد بن محمد الخطّابي ( ت ٣٨٨ هـ ) " بيان  
إعجاز القرآن " .

وقد ذكرَ فيها - رحمه الله - وجوهاً لإعجاز القرآن ، منها ما  
أشار إلى أنه مسبوقٌ إليه --- فقبل منه ما قبل ورفض منه ما رفض  
وضعف منه ما ضعّف - ومنها ما أضافه ولم يتوصل إليه أحدٌ قبله ، ومما  
قبله من تلك الوجوه : ( البلاغة ) ، وله فيها إضافات وجهود .

ولمّا كانت البلاغة - عنده - تُبنى على وضع كل نوع من الألفاظ  
موضعاً الأخصّ الأشكل به : كان له اهتمامٌ زائدٌ " بالكلمة المفردة " ؛ إذ  
منها يُبنى التركيب ويتشكّل الأسلوب .

ولمّا كان " الأسلوب " في الدراسات الأسلوبية الحديثة يعني  
- في بعض مفهوماته - " الاختيار " الذي يصور ما يُريد المنشئ تبليغَه  
من معانٍ إلى المتلقّي ، وذلك من خلال محوريّ ( الاستبدال والتركيب ) ،  
وكان التفاوتُ بين اختيارات البشر سمةً من سماتهم التي فطرهم الله عليها

، ولا يصلُ إلى حدِّ الكمال فيها إلا الله - جلت حكمته - : وَجَدْتُ فِي  
نَفْسِي رَغْبَةً مَلْحَةً فِي دِرَاسَةِ بَعْضِ اخْتِيَارَاتِ الْإِمَامِ الْخَطَّابِيِّ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي  
أَهْتَمَّ فِيهَا بِدَوْرِ " الْكَلِمَةِ الْمَفْرَدَةِ " وَبِرَاعَةِ اخْتِيَارِهَا ، دِرَاسَةً أُسْلُوبِيَّةً ،  
تَوْضِيحَ دَوْرِهَا فِي الْإِعْجَازِ ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ رِسَالَتِهِ " بَيَانُ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ "  
الَّتِي حَقَّقَهَا كُلُّ مَنْ : مُحَمَّدٌ خَلْفَ اللَّهِ أَحْمَدُ ، وَمُحَمَّدٌ زَغَلُولُ سَلَامٌ ، مَعَ  
سَالَتَيْ الرَّمَّانِيِّ ( ت ٣٨٦ هـ ) وَالْجِرْجَانِيِّ ( ت ٤٧١ هـ ) طَبْعَةُ دَارِ  
الْمَعَارِفِ ، وَقَدْ اتَّبَعْتُ فِي تِلْكَ الدِّرَاسَةِ الْمَنْهَجَ الْوَصْفِيَّ الْقَائِمَ عَلَى التَّحْلِيلِ  
وَاسْتِخْلَاصِ النُّتَاجِ .

ولذا فقد جاءت هذه الدراسة - بعد هذه المقمّمة - على أربعة

مباحث :

الأول : في مفهوم " الأسلوب " وعلاقته بـ ( البلاغة ) أحد وجوه الإعجاز  
في القرآن وأهمها عند الخطّابي .

الثاني : في " الكلمة المفردة " ودورها في " التأليف " و " الإعجاز " .

الثالث : في التعريف بالخطّابي ، وتحقيق نسبة رسالته إليه ، وأهليتها  
لتكون موضوعاً لهذا النوع من الدراسة ، وإبداء الرأي في بعض  
الدراسات التي تناولتها حديثاً .

الرابع : في بعض النماذج من مختارات الخطّابي القرآنية ومناقشتها .

وبعد ذلك خاتمة مُدَوَّنٍ فيها أهمُّ النُّتَاجِ الَّتِي تَوْصَلُ إِلَيْهَا هَذَا الْبَحْثُ .

وفي النهاية فهرس يبسّر الرجوع إلى تفاصيل البحث في سهولة ويسر .

والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل،

حسني السيد محمد التلاوي

## المبحث الأول الأسلوب والبلاغة

### أولاً : الأسلوب

#### في اللغة :

الأسلوب في كتب اللغة يدل على معانٍ كثيرة ، فهو : ( السطرُ من النَّخِيلِ ) ، و : ( الطَّرِيقُ المُمْتَدُّ ) ، و : ( الوَجْهَةُ ) ، و : ( المَذْهَبُ ) ، و : ( الطَّرِيقُ تَأْخُذُ فِيهِ ) ، و : ( الطَّرِيقَةُ ) ، و : ( الفَنُّ ) (١) ، وكلُّ هذه المعاني يُنافي الوحدةَ والانفرادَ ، ففيه التَّجْمَعُ ، والانتظامُ ، والتتابعُ ، والاتصالُ (٢) ، وهذه المعاني متحقِّقة في المعاني الاصطلاحية للأسلوب على ما سيأتي .

وعند علماء الأسلوب : عُرِّفَ بتعاريف كثيرة (٣) ، تختلف باختلاف ما يتصوره أصحابها من رسمٍ له في أذهانهم ، وما يُؤدِّيهِ عندهم من عملٍ في

---

(١) ينظر : لسان العرب لابن منظور ، وتاج العروس مادة ( س ل ب ) ، وقال ابن سيده : ( والأسلوبُ : الطريقُ تأخذ فيه ، وأخذ في أساليب من القول أي أفاتين ، .. والسَّلبُ : ضربٌ من الشجر ينبت متناسقاً ويَطُولُ ) المحكم والمحيط الأعظم مادة ( س ل ب ) ، واقتصر الرَّايزي من بين هذه المعاني للأسلوب على معنى ( الفنِّ ) مختار الصَّحاح ( س ل ب ) .

(٢) وقد قسم الأستاذ أحمد الشايب المعاني التي ذكرها ابن منظور للفظ ( الأسلوب ) قسمين : حَسِّي ، ويمثل الوضع الأسبق للفظ ، و : معنوي ويمثل انتقال اللفظ إلى المعنى الأدبي كـ ( الفنِّ والوجه والمذهب ) ، ينظر : الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية لأحمد الشايب ٤١ .

(٣) كثرة هذه التعريفات سلاحٌ ذو حدين ففي الوقت الذي تكشف فيه هذه الكثرة عن خصوصية هذا العلم ، هي أيضاً تُشكِّكُ في فاعليته في عملية تحليل النصوص الأدبية ؛

الابتكار والتوصيل الأتبييين ، أو ( حسب منطلقات الناقد أو المدارس ) (١) الأسلوبيين ، غير أن هذه التعريفات - التي وردت حول مفهومه ، والتي أوصلها بعضهم إلى ثمانية وعشرين تعريفاً - لا تكاد تخرج عن واحد من دعائم التوصيل الثلاث التي هي : المُخاطَب ، والمُخاطَب (٢) ، أو ما يُسمَّى بـ ( جهاز التوصيل ) الذي يتكون من : باثٌ ، ومُتقبِّلٌ ، وناقِلٌ (٣) ، ومع ذلك فـ ( كلُّ تعريفٍ نَظَر فيه أصحابه إلى طرفٍ واحدٍ من عملية التوصيل أو الإبلاغ ، واهتموا به وركزوا عليه على حساب الطرفين الآخرين ) (٤) ، فكان لسـ ( الأسلوب ) رَسْمٌ باعتبار كلِّ واحدٍ من هذه الثلاثة يختلف عنه باعتبار الآخرين .

أولاً : معنى ( الأسلوب ) باعتبار المُخاطَب أو الباثُ :

---

لعدم الاستقرار والاتفاق على تعريف واحد عند علمائه والمعنيين به ، ينظر : الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها لموسى سامح ربابعة ٢١ ، وذكر د. صلاح فضل أنها تصل في بعض الأحيان إلى نيفٍ وثلاثين تعريفاً ، ينظر : علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ١٠٨ ، ١٠٩ ،

(١) الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها ٢١ .

(٢) ينظر : الأسلوبية والأسلوب لعبد السلام المسدي ٦١ .

(٣) السابق ٦٢ ، و ( الباثُ ) هو : المرسل ، وهو : المُبدِعُ ، وهو : المتكلم ، وهو : المُخاطَبُ ، وهو : المُتَنبِّئُ .. ، و ( المُستقبِّلُ ) هو : المرسلُ إليه ، وهو القارئ ، وهو المُتلقِّي ، وهو المُتقبِّلُ ، وهو المُخاطَبُ .. و ( الرسالةُ ) هي النصُّ ، وهي الخطابُ ، وهي الملفوظُ ، وهي الكلامُ .. ، ينظر : الأسلوبية والخطاب الشعري " الشرفي الرضي " نموذجاً لمحمود أحمد الطويل ٦٢ .

(٤) الأسلوبية والخطاب الشعري ٢٤ .

المتكلم هو الأول ؛ إذ هو الذي يقوم بعملية " الاختيار " و " التركيب " ، فيصوغ المفاهيم المجردة في نسقٍ كلاميٍّ محسوس (١) ، وبذلك يكشف الأسلوب عن مكونات صاحبه ، وطريقة تفكيره ، وكيفية نظره إلى الأشياء ، وتفسيره لها وطبيعة انفعالاته (٢) ، فالأسلوب - وهو يُطلق على ما ندر (٣) ودق من خصائص الخطاب التي تبرز عبقرية صاحبه وبراعته - متوافق مع صاحبه ، لا تميز بينهما ولا اختلاف (٤) .

فالأسلوب بالنظر إلى المرسل : ( هو طريقة الكتابة ، أو طريقة الإنشاء ، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير ) (٥) ، وهذا التعريف للأسلوب لا يخرج عما كان يعنيه في البلاغة اليونانية القديمة (٦) ، والذي يعنينا من هذا التعريف ، والذي لنا به زيادة اهتمام قوله : ( أو طريقة اختيار الألفاظ ) ؛ فهو نص في أهمية الاختيار للكلمة المفردة قبل وضعها في النسق الأسلوبي ، وأن هذا الاختيار

(١) ينظر : الأسلوبية والأسلوب لعبد السلام المسدي ٦٢ .

(٢) ينظر : الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية لفتح الله أحمد سليمان ١٢ .

(٣) يقال : ندر الشيء من بين شيء أو من أشياء - يندرُ ندرًا - ظهرَ ، ينظر : المحكم والمحيط الأعظم مادة : ( ن د ر ) ، وإن كان السياق هنا يوحي بمعنى القلة والندرة .

(٤) ينظر : الأسلوبية والأسلوب للمسدي ٧٠ .

(٥) الأسلوب لأحمد الشايب ٤٤ ، وهو عند صلاح فضل عبارة عن " مُحصلة مجموعة من الاختيارات المقصودة بين عناصر اللغة القابلة للتبادل " علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ١٢٢ .

(٦) كان " الأسلوب " في البلاغة اليونانية القديمة يندرج تحت علم الخطابة ، وخاصة الجزء الخاص باختيار الكلمات المناسبة لمقتضى الحال ، ينظر : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب لمجدي وهبة ، وكامل المهندس ٣٤ .

يمثل نصف الأسلوب ، بل قد أصبح تعريف الأسلوب على أنه ( اختيار ) من التعريفات الشائعة في الدراسات الأسلوبية (١) ، وبهذا التعريف يدخل كل من " المعجم " و " التركيب " في مجال عملية الاختيار (٢) .  
 إنَّ كُلَّاً من " الاختيار " و " التركيب " داخل في تكوين الأسلوب ، ولذلك نراه يختلف من شخص لآخر ، ولكل ناظم أسلوبه فيهما ، فعلى طريق التمثيل : يختلف قول مَعْن بن أوس (٣) :

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكذب إليه بوجه آخر الدهر تُقبلُ (٤)  
 عن قول العباس بن الأحنف :

(١) ينظر : الأسلوبية والأسلوب للمسدي ١٣٨ ، الأسلوبية الروية والتطبيق ليويسف أبو العدوس ١٥٩ ، وينظر : في النص الأدبي دراسات أسلوبية إحصائية لسعد مصلوح ٢٥ ، والاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي لشفيق السيد ١٣٢ وما بعدها .  
 (٢) ينظر : الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها ٢٨ ، وقد أشار " رباعة " في هذا الموضوع إلى أن ( الاختيار ) عند الإمام عبد القاهر يشمل كلًّا من : ( المعجم ) و ( النحو ) بقوله - أي : الإمام - ( أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ، ويشتدُّ ارتباطُ ثانٍ منها بأوَّلٍ ، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحداً ، وأن يكون حالك فيها حالَّ الباني ، يضعُ بيمينه هنا في حال ما يضعُ بيساره هناك .. ) دلائل الإعجاز ٩٣ .

(٣) من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، ومن الشعراء المجيدين ، مات ٦٤ هـ ، ينظر : خزانة الأدب للبغدادي ٧ / ٢٦٠ .

(٤) آخر بيت من قصيدة له [ من الطويل ] مطلعها :

لَعَمْرُكَ ما أدري وإني لأوجلُّ على أينَا تغدو المنيةُ أوَّلُ

ديوان مَعْن بن أوس ٩٣ ، ٩٤ ، وينظر : دلائل الإعجاز ٤٩٤ ، وخزانة البغدادي ٨ / ٢٩٢ .



نَقَلَ الجبالِ الرواسِي مِنْ أَمَاكِنِهَا أَخْفُ مِنْ رَدِّ قَلْبٍ حِينَ يَنْصَرِفُ (١)  
هذا الاختلاف بين أسلوبِي الشاعرين يأتي تَبَعًا لِاِخْتِلَافِهِمَا فِي كُلِّ مِنَ  
( الاختيار والتأليف ) ، وإن كان المعنى المراد عندهما واحدًا .

وقد عاد الشايب إلى تعريف ( الأسلوب ) مرةً أُخرى وكأنه  
يوضح تعريفه السابق بقوله : ( أعود لأقول : إنَّ تعريف الأسلوب يَنْصَبُ  
بداهةً على هذا العنصر اللفظي ، فهو : الصورةُ اللفظيةُ التي يُعَبِّرُ بها عن  
المعاني ، أو نَظْمُ الكلامِ وتَأْلِيفُهُ لأداء الأفكار وعرض الخيال ، أو هو  
العباراتُ اللفظيةُ المُتَسَقَّةُ لأداء المعاني ) (٢) .

وهذا التعريف يُصوِّرُ أداءَ المُخاطَبِ وَعَمَلَهُ مِنْ نَظْمٍ للمعاني  
واختيارٍ للألفاظ وتأليفٍ بينها ، وَيَتَّبِعُ ذلك حتمًا ظهورُ بصمته وسمات  
نفسه وشخصيه ، ففي الجملة الأولى يقول الشايب : ( يُعَبِّرُ ) والمُعَبِّرُ هو  
المُرْسِلُ أو المخاطب ، وهو أيضًا ( الناظِمُ ) و ( المؤلِّفُ ) في الجملة  
الثانية ، وهو كذلك الذي يُتَسَّقُ العبارات اللفظية في الجملة الثالثة .

ثانيًا : معنى ( الأسلوب ) باعتبار النصّ أو الخطاب :

قبل الدخول إلى تعريف ( الأسلوب ) من زاوية النصّ أو الخطاب ،  
لا بدّ من الوقوف على ماهية هذا ( النصّ ) ، وما الذي يُراد به ، وماذا  
يَعْنِي :

(١) أحد بيتين له [ من البسيط ] ، والآخِرُ :

مَمُوا بِهَجْرِي وَكَانَتْ فِي نَفْسِهِمْ  
بَقِيَّةٌ مِنْ هَوَى بَاقٍ فَمَا وَقَفُوا

ديوانه ١٨٦ ، وينظر : دلائل الإعجاز ٤٩٤ .

(٢) الأسلوب للشايب ٤٦ .

أما أولاً : فهناك فرق بين ( اللغة ) و ( الكلام ) ، فـ ( اللغة ) : عبارة عن مجموعة أعرافٍ ونظمٍ موجودة بالقوة في أذهان المتكلمين ، أو هي نظامٌ جماعيٌّ مُودَعٌ لدى الجماعة اللغوية ، وأما ( الكلام ) : فهو إخراجُ هذه الرموز اللغوية إلى حيزِ الفعلِ باستعمال المتكلمين ، فالكلامُ نشاطٌ فرديٌّ يقوم به الشخصُ ، وبِدهيٍّ أن يكون سَمْتُ هذا النشاط التَّغْيِيرَ (١) ، ولا يمكن أن يُتصوَّرَ أنَّ هناك عملاً أدبيّاً دون أن يكون له أسلوبٌ يميّزه عن غيره (٢) .

وأما ثانياً : فهذا الكلام المُستعمل ينقسم إلى قسمين :

الأول : ما يسمّى بالخطاب العادي النفعي ، وهو الكلام الذي يهدف إلى التبادل النفعي ، ويتّسم هذا النمط من الخطاب بمحدودية معجمه اللغويّ ؛ فلا جديد يُذكر في ألفاظه ولا معانيه ، وهو بالتالي لا يحتاج إلى جهدٍ عقلي لفهم المراد منه (٣) .

الثاني : ما يُسمّى بالخطاب الأدبي أو الجمالي أو الفني ، و ( هذا النوع من الكلام ) يصدر عن ملكةٍ لدى مُنشئه ، ويتميّز بالتكثيف الإيحائي القصدي ، فألفاظه مُختارةٌ بدقة ، ويحتاج في الغالب إلى إعمال الفكر في

(١) ينظر : الأسلوبية والخطاب الشعري ١٤ .

(٢) ينظر : الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها ٢٥ .

(٣) ينظر : الأسلوبية لفتح الله سليمان ١٧ ، والأسلوبية والخطاب الشعري لمحمود

الطويل ١٥ .

فهمة ، وقد يفهمه المتلقي دون عناء <sup>(١)</sup> ، وهو المقصود عند تعريف ( الأسلوب ) باعتبار النصّ والخطاب .

فالأسلوب بهذا الاعتبار : طريقة تأليف خاصة بنوع من الخطاب الأدبي الجمالي ، المغاير للخطاب العادي أو النفعي .

وهذا الحدّ من التمييز للأسلوب من زاوية الخطاب أو النصّ مقبول ، وهو جديرٌ به ، غير أنّ المُنظرين لعلم الأسلوب قد جعلوه عبارة عن : مجموع الطاقات الإيحائية في الخطاب الأدبي وتقلّص التصريح ، والحال في الخطاب العاديّ - عندهم - على النقيض من ذلك <sup>(٢)</sup> ، فهما متغايران .

وركيزة المغايرة بين هذا الخطاب الفنيّ وغيره من الخطاب العاديّ : أنّ الأول قد يكسر القواعد اللغوية ، أو يخرج عن النمط المألوف ، أو غير ذلك ، وهذا الكسر وذاك الخروج سمّاه الأسلوبيون بأسماء كثيرة أشهرها " الانحراف " ، وهو - عندهم - قد يكون اختياريًا ، يلجأ إليه المنشئ مختارًا ، ولكنه كثيرًا ما يكون لغايات كالإثارة الذهنية أو التشويق العقلي <sup>(٣)</sup> .

والتعبير بـ ( قد ) في القول عن ( الأسلوب ) بأنه قد يكسر القواعد اللغوية ، وهو الذي يُسمّى في عُرف الأسلوبيين بـ ( الانحراف ) ، أولى من تخصيصه به ، بمعنى عدم وجوده بدون الانحراف ، ومنهم من صرّح بذلك فقال : ( والخاصية الأسلوبية نوعٌ من الخروج على

(١) ينظر : المرجعان السابقان .

(٢) ينظر : الأسلوبية والأسلوب للمسدي ٩٥ .

(٣) بتلخيص من : الأسلوبية لفتح الله سليمان ٢٠ ، ٢١ .

الاستعمال العادي للغة ، بحيث ينأى الشاعر أو الكاتب عما تقتضيه المعايير المقررة في النظام اللغوي ( ١ ) ؛ وذلك لوجود أنماط من الكلام العالي خالية مما سمّوه انحرافاً ، أو ما يُسمّى في البلاغة بالعدول .

وكذلك القول بأنّ هذا الانحراف - أو العدول - يُؤتى به أو يُصار إليه لغايات كالإثارة والتشويق أو التزيين ( ٢ ) ، أو بُغية الحكم لصاحبه بالإبداع ( ٣ ) ، مذهبٌ قديمٌ ، تسبّب في جعل كثير من علماء البلاغة يُعدُّ طرق الأداء - والتي أُطلق عليها اسمُ " المحسنات البديعية " - حليّةً وزينةً شكليةً ، لا تستعمل إلا عند إرادة تحسين الكلام وتزيينه ( ٤ ) .

ولا يخفى ما يترتب على هذا التفريق من أنّ أهلية الدراسة الأسلوبية لنصٍّ ما ستفاس بقدر ما يُصاحبه من شحْنٍ إيحائية ، وما يتبع ذلك من عناصر التأثير على المتلقّي كما عند ( شارل بالي ) ، الذي يتملّ الأسلوب - عنده - في مجموعة من عناصر اللغة المؤثرة عاطفياً على

---

( ١ ) التركيب اللغوي للأدب بحث في فلسفة اللغة والاستطبيقاً للطفي عبد البديع ١٣٩ .  
( ٢ ) وعلى هذا المذهب جاء تعريف " ستاندال " : ( الأسلوب هو أن تضيف إلى فكر معين جميع الملابس الكفيلة بإحداث التأثير الذي ينبغي لهذا الفكر أن يحدثه ) علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ١١٣ .

( ٣ ) بعضهم يظنّ أنّ الإبداع هو الخروج عن المألوف ، أنا ضد كل الطرق والأنظمة الأدبية والفنية إنن أنا في سدره الإبداع ، ينظر : قضايا الشعر الحديث لجهاد فاضل . ٤٩ .

( ٤ ) قال أبو يعقوب السكّاكي بعد ذكره علمي المعاني والبيسان : ( وإذ قد تقرّر أن البلاغة بمرجعتها ، وأنّ الفصاحة بنوعها ، مما يكسو الكلام حُلة التزيين ، ويُرقّبه أعلى درجات التحسين ، فههنا وجوه مخصوصة كثيراً ما يُصار إليها لقصد تحسين الكلام ، فلا علينا أن نُشير إلى الأعراف منها ) ، فذكر - رحمه الله - بعض نوعها ( المعنوي واللفظي ) ، ينظر : مفتاح العلوم ليوسف السكّاكي ٦٥٩ ، ٦٦٠ .

المستمع أو القارئ (١) ، وكلّما تقلّصت هذه الشّحنُ ، وكلّما اتّسم النصُّ بالسهولة والقرب ، فإنّه بقدر ذلك يفقد أهليته للدراسة الأسلوبية .

والتسليمُ بهذه المقدمات وصحّتها يدفع إلى نَبذِ كلِّ ما خلا من تلك الدوافع التفكيرية أو التأثيرية ، وليس من شكٍّ في أنّ هذا المستوى من الخطاب - أعني : الخالي من تلك الدوافع - يأتي في الأساليب العالية ، وفي قمتها الكلامُ المعجِزُ ؛ فليس من المقبول - إنن - تخصيصُ الدراسات الأسلوبية بهذا النوع من الخطاب ، الذي يشتمل على تلك الشّحنِ الإيحائية ، وعلى العكس من ذلك ، سيكون في القمة مثلُ شعر أبي تمام مما هو مشحونٌ بأمثال تلك الاعتبارات ، ويحتاج إلى فكر وجهد في الفهم ، لا نقول : مع ما فيها ، بل : لما فيها من الإثارات الذهنية ، وما يتبع ذلك من تأثيرٍ وتبنيه للقارئ أو السامع (٢) .

ومفهوم ( الأسلوب ) من زاويتي ( المنشئ والنص ) هما المعنيان لهذا البحث الذي قوامه الكلمة المفردة اختياراً وتوظيفاً ودوراً في التأليف (٣) .

- 
- (١) ينظر : علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته لصلاح فضل ١١١ .  
(٢) ألمح إلى ذلك : فتح الله سليمان فيما كتبه في هذا الإطار ، ينظر : الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية ٢٠ ، ٢١ .  
(٣) ولما كانت علاقة ( الأسلوب ) بالمتلقّي تقاس بما يُحدثه فيه من أثر ، فقد عرّفوه من زاويته بأنه : إبرازُ بعض عناصر سلسلة الكلام ، وحملُ القارئ على الانتباه إليها ، بحيث إذا غفل عنها شوّه النصُّ ، وإذا حلّ لها وجدّ لها دلالات تمييزية خاصة ، مما يسمح بتقرير أنّ الكلام يُعبّرُ والأسلوبُ يُبرزُ ، وهذا التعريف نسبة المسدّي لريفاتير ، ويزداد الأمر وضوحاً بتعليق المسدّي على هذا التعريف وجعله التحليل الأسلوبي منطلقاً من الأحكام التي يُبديها القارئ حوله ، مما يُعدُّ ضرباً من الاستجابات لدى المتلقّي نحو

## ثانياً : البلاغة

### في اللغة :

أصلُ هذه المادة يعني الوصولَ إلى الشيء ، وقد تُسمَّى المشاركةُ بُلُوغاً<sup>(١)</sup> ، وفي تاج العروس<sup>(٢)</sup> : يقال بَلَغَ المكانَ بُلُوغاً : وَصَلَ إِلَيْهِ وانتهى ، قال - تعالى - : { لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا أُنْفُسُ }<sup>(٣)</sup> ، والبُلُوغُ والإِبْلَغُ : البُلُوغُ إلى أَقصى المقْصِدِ والمُنْتَهَى ، ومنه قوله تعالى : { حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً }<sup>(٤)</sup> .

وعند البلاغيين : لا تخرج ( البلاغة ) عن هذا الحيز الذي وَضَعَهُ علماء اللغة ، فلها عندهم تعريفاتٌ متعدِّدة<sup>(٥)</sup> ، ومن أهمِّها وأشهرها قول الحسن العسكري ( ت ٣٩٥ هـ ) : ( البلاغةُ كُلُّ ما تُبَلِّغُ به المعنى قلبَ السامع ، فَتَمَكَّنَهُ في نفسه كَتَمَكَّنَهُ في نفسك ، مع صورةٍ مقبولةٍ ومعرضٍ حسنٍ )<sup>(٦)</sup> ، ومنها ما جاء ضمناً في تعريف بلاغة

---

النص ، ينظر : الأسلوبية والأسلوب ٨٣ ، وينظر : الأسلوبية لفتح الله سليمان ٢٤ ، والأسلوبية والخطاب الشعري لمحمود الطويل ٢٢ .

(١) ينظر : معجم مقاييس اللغة ، مادة ( ب ل غ ) .

(٢) مادة ( ب ل غ ) .

(٣) سورة النحل من الآية ٧ .

(٤) سورة الأحقاف من الآية ١٥ .

(٥) ينظر : البيان والتبيين ١ / ٨٨ .

(٦) الصناعتين الكتابة والشعر لأبي هلال العسكري ١٠ .

المتكلم (١) عند السكاكي (٦٢٦ هـ) من قوله : ( البلاغة هي بُلُوغُ المتكلم في تأدية المعاني حداً له اختصاصٌ بتوفية خواصِّ التراكيب حقَّها ، وإيرادُ أنواعِ التشبيهِ والمجازِ والكنايةِ على وجهها ) (٢) ، وكان القزويني ( ت ٧٣٩ هـ ) آخرَ مَنْ وقف عند البلاغة من المتأخرين (٣) ، وعرفها تعريفاً آخر ، فبلاغةُ الكلامِ عنده : ( مطابقتُه لمقتضى الحال مع فصاحته ) (٤) .

وهذه التعريفات - مع اختلافها في التحديد والصيغة - توجي بأن ( الاختيار ) في البلاغة هو أساسها الذي تُبنى عليه ، ( فإذا كان الاختيار موفقاً فإنَّ عنصرَ الفهم والإفهام سيتحقَّق ) (٥) و قد سبق تعريفُ الأسلوب بأنه ( اختيار ) ، وقد بولغ في ذلك فقيل : ( الأسلوبُ هو الرجلُ ) (٦) ، وذلك أنَّ ما يُبلِّغُ به المعنى قلبَ السامع - في تعريف العسكري - اختياراتٌ من مفردات وتراكيب ، دَفَعُ المُنشئُ إليها المعنى الذي يريد تبليغَه ، وفي تعريف السكاكي لا يبلِّغُ المتكلمُ في تأدية معانيه هذا

- 
- (١) نبّه السيد الشريف الجرجاني إلى أنَّ هذا الذي ذكره صاحب المفتاح إنما هو تعريف لبلاغة المتكلم لا الكلام ، ينظر : المصباح في شرح المفتاح لعلي بن محمد الجرجاني ( السيد الشريف ) ٧١١ .
  - (٢) مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي ٦٥٢ .
  - (٣) معجم المصطلحات البلاغية لأحمد مطلوب ١ / ٤٠٥ ، وينظر : ٤٠٢ - ٤٠٤ -
  - ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م - مطبعة المجمع العلمي العراقي .
  - (٤) ينظر : شروح التلخيص ١ / ١٢٢ وما بعدها .
  - (٥) الأسلوبية الرؤية والتطبيق ليوسف أبو العدوس ١٦٣ .
  - (٦) هذا تعريف بوفون ، ينظر : السابق ١٦٢ .

الحدّ إلا بالاختيار الذي يشمل كلّاً من خصائص المفردات ودلالات التراكيب .

و) تطبيق الكلام على مقتضى الحال - الذي هو معنى البلاغة عند الخطيب هو الذي يسميه الشيخ عبد القاهر بـ (النظم) حيث يقول :  
النظمُ تأخِّي (١) معاني النحو فيما بين الكَلِمِ ، على حسب الأغراض التي يُصاغُ لها الكلام (٢) .

وإذا كانت البلاغة - عند الإمام عبد القاهر - ممّا يُعبّرُ به عن فضلِ بعضِ القائلين على بعض ، من حيثُ نطقوا وتكلموا ، وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد ، وراموا أن يُعلّموهم ما في نفوسهم ، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم (٣) ، فإنه لا فضلَ لقولٍ على آخرٍ إلا باختياره أدواتِ التعبيرِ المناسبة ، التي تُعينُ صاحبها على الإخبار عن غرضه ، ونقل ما في نفسه إلى الآخرين ، وهذا يتحقّق - عند الإمام - بالنظر في وجوه كلّ بابٍ من أبواب التعبير ، وفيما

---

(١) تأخّيتُ الشيءَ : تحرّيته وتنبّعته ، قاله الشيخ عبد المتعال الصعيدي - رحمه الله - في بغية الإيضاح ٢١ / ١ ، وفي القاموس المحيط : تأخّيتُ الشيءَ : تحرّيته ، تاج العروس مادة (أ خ و) ، وينظر : تاج اللغة وصحاح العربية ، والمعجم الوسيط مادة (أ خ ا) ، ومثله في المعنى : توخّيتُ ، بالواو ، وهو الأكثر ، لذلك قد تكون الهمزة في تأخيت منقلبة عن الواو كما في وكّد وأكّد .

(٢) الإيضاح للخطيب القزويني ضمن شروح التلخيص ١ / ١٣٢ ، وينظر : دلائل الإعجاز : ٨١ ، ٤٠٥ .

(٣) ينظر : دلائل الإعجاز ٤٣ .



يختصُّ به كلُّ وجهٍ من دلالةٍ ، ثم يُؤتى به حيث ينبغي له (١) ، ولعل هذا هو معنى ما قاله "بيير جيرو" عن الأسلوب من أنه ( يكمن في الاختيار الواعي لأدوات التعبير ) (٢) ، أو أنه ( استخدامُ الكاتبِ لأدواتٍ تعبيريةٍ من أجل غاياتٍ أدبيةٍ ) (٣) .

وفي ضوء ذلك كلُّه نقرُّ ما يلي :

أ - ( البلاغة ) و ( الأسلوب ) مبنيان على عنصر الاختيار ، ولذلك قيل : إنَّ مفهوم " النظم " عند الإمام عبد القاهر يتساوى تماماً مع مفهوم " الأسلوب " ، وما يصدق على أحدهما يصدق على الآخر ، وكلاهما يحل محل صاحبه (٤) .

ب - صحة وقبول عبارة " بوقون " : ( الأسلوب هو الرجل ) ، على أن مراده منها أن ( الأسلوب ) يختلف من شخصٍ لآخر ، وذلك باختلاف الاختيارات التي تختلف أيضاً من شخصٍ لآخر .

ج - دقة وبراعة الشيخ عبد القاهر - رحمه الله - في جعله " الأسلوب " ضرباً من " النظم " وطريقةً فيه (٥) ،

(١) ينظر تعريف النظم عند الإمام عبد القاهر في دلائل الإعجاز ٨١ ، ٨٢ .

(٢) ينظر : الأسلوبية لبيير جيرو ١١ .

(٣) السابق ١٧ .

(٤) ينظر : البلاغة والأسلوبية لمحمد عبد المطلب ٢٩ ، والنظم وبناء الأسلوب في

البلاغة العربية ٢ ، ٣ ، والاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي ٢٢ كلاهما لشفيق السيد .

(٥) ينظر : دلائل الإعجاز ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

فالأسلوب : طريقة خاصة في استخدام العلاقات النحوية (١) التي هي أساس النظم ، وبذلك يظهر فساد القول بأن ( علم الأسلوب ) يُعدُّ الوريث الشرعيّ للبلاغة ؛ إذ من شروط صحة التوريث التحقُّق من موت المورث .

### الأسلوب والأسلوبية :

وإذا كان الأسلوب يعني طريقة في النظم ، أو هو طريقة للتعبير عن الفكر بوساطة اللغة ، فهو وصف للكلام ، فإن الأسلوبية تُعنى بدراسة التعبير اللساني (٢) .

---

(١) ينظر : البلاغة والأسلوبية لمحمد عبد المطلب ١٨ ، ١٩ .

(٢) الأسلوبية لبير جيرو ١٠ ، وينظر : الأسلوبية ليوسف أبو العدوس ٣٧ .

## المبحث الثاني

### الكلمة المفردة والإعجاز

#### أولاً : الكلمة المفردة

الاهتمامُ بـ(الكلمة المفردة) ، والدقّة في اختيارها ، والحرصُ على استعمالها في الأسلوب الذي يقتضيها : مستقرٌّ في العقول منذ أقدم عصور الأدب ، فلا تَقَلُّ أهميتها عن أهمية " الأسلوب " ؛ إذ هو " كلمات " قد نُظمت لأداء معنى ، ومن أقدم ما أثر من اهتمامهم بها ما جاء عن المثلّمس الضبّعي<sup>(١)</sup> حيث يقول :

وقد أتتسى الهمّ عند احتضاره    بناجٍ عليه الصّيعريّة مكنم<sup>(٢)</sup>  
فيسعمل كلمة " الصّيعريّة " في أسلوبٍ لا تلتئم معه ؛ إذ هي وصفٌ للناقة ، والتأليف إنما هو في الجمل ، فعيب عليه ذلك<sup>(٣)</sup> .  
كما عيب على أوس بن حجر<sup>(٤)</sup> قوله :

وذات هدمٍ عارٍ نواشرها    تُصنبت بالماءِ تَوَلّبا جدعا<sup>(٥)</sup>

(١) هو : جرير بن عبد المسيح ، من بني ضبيعة ، من ربيعة ، خال طرفة بن العبد ، ذكره ابن سلّم في الطبقة السابعة من شعراء الجاهلية ، مات حوالي سنة ٥٠ ق هـ ، ينظر : طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلّم الجمحي ١ / ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٢) من الطويل ، وهو مُختلّف في نسبه ، فقد نُسب إلى غير المثلّمس كالمُسَيّب بن عَس ، ينظر في ذلك الخلاف : ديوان المثلّمس الضبّعي ٢٣٠ .

(٣) ينظر : الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٢٤ / ٢٤٥ .

(٤) مات نحو سنة ٢ ق هـ ، ينظر : الأغاني ١١ / ٧٣ ، والأعلام ٢ / ٣١ .

(٥) من المنسرح ، وهو من القصيدة التي مطلعها :

حيث استعمل " تولبًا " في الصبي ، وهو ليس له في الحقيقة ، وإنما هو ولذ الحمار (١) .

واستعمال " الكلمة " في غير موضعها المناسب لها سمأه بعض العلماء " المعاطلة " ، وهي التي وصف عمرُ بنُ الخطاب (رضي الله عنه) زهيراً بمُجانِبته إياها حيث قال (رضي الله عنه) : " وكان لا يُعاطل بين الكلام " ، هذه " المعاطلة " تعني عند قدامة (٢) : أن يدخل بعضُ الكلام فيما ليس من جنسه ، وما هو غير لائق به ، وجعل ذلك مُخصَّصًا بفاحش الاستعارة ، ومثَّل لها ببيت أوسٍ السابق (٣) ، فمن وضع " الكلمة " في غير موضعها

---

أَيْتَهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعَا      إِنَّ الَّذِي تَحْذِرِينَ قَدْ وَقَعَا      وَمِنْهَا :  
الْأَكْمَى الَّذِي يَظُنُّ لَكَ الظَّنَّ      نَ كَانَ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا  
وَقَبْلَ الْبَيْتِ : لِيُنَكِّيكَ الشَّرْبُ وَالْمُدَامَةُ وَالـ      فِتْيَانُ طُرًّا وَطَامِعٌ طَمِعًا

و"الهذم" : النبالي المرفع من الثياب ، و"النواشر" : عصب الذراع ، الواحد : ناشيرة ، والمعنى : أنها بادية من جوعها وهزالها ، و"الجذع" : السيء الغذاء ، وتضمنته بالماء : لأنه ليس لها لبن من شدة الضر ، ينظر : ديوان أوس بن حجر ٥٥ ، ودلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني ٣٩ .

(١) ينظر : الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء لمحمد المزباني ٦٣ - ١٣٤٣ هـ ، وقال الإمام عبد القاهر : ( .. وذلك لأنه يصف حال ضرر ويؤس ، ويذكر امرأة بائسة فقيرة ، والعادة في مثل ذلك الصفة بأوصاف البهائم ؛ ليكون أبلغ في سوء الحال وشدة الاختلال ) فقيلها في الاستعارات ، ينظر : أسرار البلاغة ٣٩ .

(٢) هو : أبو الفرج قدامة بن جعفر ( ت ٣٣٧ هـ ) ، ينظر : معجم الأدباء لياقوت الحموي ٢٢٣٥ رقم ٩١٦ .

(٣) ينظر : نقد الشعر ١٧٤ ، ١٧٥ .

فأحش الاستعارة ، ( ومن وَضَعَ الألفاظ في موضعِها حُسْنُ الاستعارة ) (١) .

ولو أَنَّ العباس بن الأحنف (٢) كان قد أَحَسَّن اختيار الكلمة المفردة في بيته المشهور :

سأطلبُ بعدَ الدارِ عنكم لتقربوا وتسكب عيناى الدموع لتجمداً (٣)

، لَمَّا كان قد ذكر ( الجمود ) - وهو يعني : البخل بالدمع - مُرِيداً به : السرورَ الذي كان سببِهِ دوامُ التلاقي ، ولَمَّا عِيبَ عليه هذا الاختيار وجعلَ عنواناً وشاهداً على ( التعقيد الذي قالوا إنه يستهلك المعنى ) (٤) .

ومن اعتناء النقاد بالكلمة ، وما لها من أثرٍ في صحة المعنى وفساده ، حُكْمُهُم للخنساء (٥) بالإحسان في مرثيتها صخرًا (٦) ؛ لَمَّا وَجَدُوهُ لديها من علمٍ بما يُصيب المعنى ، ودِقَّةٍ في اختيار ما يُعبِّرُ عمَّا تريد ، قالت عن ( حَذْفَة ) (٧) :

فَقَدْ فَحَدَّتْكَ حَذْفَةٌ فَاسْتَرَأَتْ فَلَيْتَ الْخَيْلَ فَارَسَهَا يَرَاهَا (٨)

(١) سر الفصاحة لعبد الله ابن سنان الخفاجي ١١٨ .

(٢) توفي ( ١٩٢ هـ ) ، ينظر : الشعر والشعراء لابن قتيبة ٨٢٧ .

(٣) من الطويل ، وهو في ديوانه ١٠٦ ، وينظر : دلائل الإعجاز ٢٦٨ ، وشرح التلخيص ١ / ١٠٩ .

(٤) دلائل الإعجاز ٢٧١ .

(٥) تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد ( ٢٤ هـ ) ، ينظر : خزنة البغدادي ١ / ٤٣٣ ، والأعلام ٢ / ٨٦ .

(٦) هو : صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد ( ١٠ ق هـ ) الأعلام ٣ / ٢٠١ .

(٧) اسم فرسٍ لصخر .

(٨) من قصيدة لها من بحر الوافر ومطلعها :

أبت عيني وعاودها قذاها بعوارٍ فما تقضي كراها

قال قدامة : ( ولو قالت : فَقَدْتِك حَذْفَةً فَبَكَتْ ، لأخطأت ، وبُكاء مَنْ يجب أن يبكي على الميت إنما هو مَنْ كان يُوصف إذا وُصِف في حياته بإغائته والإحسان إليه ) (١) .

وارتفاع شأن الكلام إنما يكون بقدر بلاغته ، ولا تتحقق تلك البلاغة إلا إذا كان الكلام خاليا مما يُخلُ بفصاحته وفصاحة كلماته التي هي أصواتُ بنائه ، فإن لم تكن كلماته كذلك فلا تتحقق له تلك البلاغة وإن خلا من عُيوب فصاحته ، هذه الكلمات هي التي بإسنادها أو الإسناد إليها تتم الفائدة ويؤدي الغرض ، وهي التي تُتكرر فتفيد معنى ، وتُعرف فتفيد آخر ، يختارُ السياق بعضها دون بعض .

و\* الكلمة \* في الأسلوب إذا لم تُؤدِّ دوراً يُمثِّلُ لينةً في بناء معناه الكلي المراد منه ، وكان وجودُ الكلمة كعدمه في النص ، فهي إما حشو أو تطويل ، وهما مما اتفقت كلمة البلاغيين على خروجهما من دائرة الفصاحة (٢) .

إن الكلمات - وهي التي يُبنى منها الكلام - لكل منها مقام لا تستعمل إلا فيه ، فلا يُعبرُ عن المدح بالألفاظ الموضوعية للذم ، ولا يُذمُّ بألفاظ تُستعمل في المدح ، وللجدِّ ألفاظه ، وللهزل ألفاظه ، وللمتكلمين ألفاظهم التي تُؤدِّي معانيهم ، وكذلك النحويون والمناطقة وغيرهم ، وعلى

---

ورواية الديوان ( طَلقة ) بدلا من ( حَذْفة ) والمعنى على العدول : ( لبتك تراها بعدك ما حالها ) ينظر : ديوان الخنساء بشرح ثعلب ٢٨٩ .

(١) نقد الشعر ١١٩ .

(٢) ينظر : شروح التلخيص ٣ / ١٧٣ وما بعدها ، وسر الفصاحة ١٤٦ - ١٥٧ .

الجملة : لا يُستعمل في غرضٍ من الأغراض إلا المفردات التي هي له في قانون الإنشاء (١) .

وكما أن للكلمة المفردة دوراً في بناء الأسلوب ، ودخلاً في توجيهه ، فإنها كذلك تخضع لقوانين النظم والصياغة ، فلا تُستحسن في كل حال وإن كانت فصيحةً ، فهي إذا ما صادفت مقامها بالكلام معها بليغ محمود ، وإذا وُضعت حيث لا ينبغي لها ، جاء الكلام بها كَبَعْرِ الكَبَشِ الذي يقع مَقْرَفاً غير مؤتلفٍ ولا متجاوِرٍ كما صَوَّرَ أبو عثمان (٢) .

على أن هذا الاختيار للكلمة المقردة لا يكون حُرّاً أو حسب هوى في نفس صاحب النص ، ولكنه محكوم بما يُصاغ له الكلام ، فلا بد أن تُختار الكلمة من بين محور ( الاستبدال ) اختياراً يناسب محور التركيب : على سبيل المثال قوله - تعالى - : { تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى } (٣) :

ضِيزَى	← محور الاستبدال
ظالمة	
جائرة	
{ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى }	محور التركيب

وهذا المبدأ الإنشائي قد أرساه الإمام عبد القاهر في أثناء تعريفه بالنظم ، فمِمَّا هو نصٌ فيما نحن فيه قوله : ( وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغره

(١) ينظر : سر الفصاحة ١٦١ - ١٦٦ .

(٢) هو ناظرٌ في ذلك إلى ما أشده أبو البيداء الرياحي من قوله :

وشِعْرٍ كَبَعْرِ الكَبَشِ فَرَّقَ بَيْنَهُ لِسَانُ دَعِيٍّ فِي القَرِيضِ دَخِيلِ

ينظر : البيان والتبيين للجاحظ ١ / ٦٦ ، ٦٧ ، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده للحسن بن رشيق القيرواني ١ / ٢٥٧ .

(٣) سورة النجم آية ٢٢ .

الناظمُ بِنَظْمِهِ غَيْرَ أَنْ يَنْظَرَ فِي وَجْهِهِ كُلِّ بَابٍ وَفُرُوقِهِ ، ف .. يَنْظُرَ فِي " الحروف " التي تَشْتَرِكُ فِي مَعْنَى ، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى ، فيضَعُ كُلًّا مِنْ ذَلِكَ فِي خَاصِّ مَعْنَاهُ ، نحو أَنْ يَجِيءَ بِـ " ما " فِي نَفْيِ الْحَالِ ، ... ، فَيُصِيبُ بِكُلِّ مِنْ ذَلِكَ مَكَانَهُ ، وَيَسْتَعْمَلُهُ عَلَى الصَّحَّةِ وَعَلَى مَا يَنْبَغِي لَهُ ( ١ ) ، فقولُه : ( وَيَنْظُرُ ... وَيَنْظُرُ ... ) يُرَادُ بِهِ مَحْوَرُ الْاِسْتِدْالِ ، وَقَوْلُهُ : ( فَيَضَعُ كُلًّا مِنْ ذَلِكَ فِي خَاصِّ مَعْنَاهُ ) نَاطِرٌ إِلَى مَحْوَرِ التَّرْكِيبِ ، وَكَذَا قَوْلُهُ : ( فَيَعْرِفُ لِكُلِّ مِنْ ذَلِكَ مَوْضِعَهُ ، وَيَجِيءُ بِهِ حَيْثُ يَنْبَغِي لَهُ ) ( ٢ ) .

فَإِذَا مَا تَطَابَقَ " الْاِخْتِيَارِ " مِنْ مَحْوَرِ الْاِسْتِدْالِ ، مَعَ مَا يَتَحَقَّقُ بِهِ التَّنَاسُبُ وَالْاِنْسِجَامُ فِي مَحْوَرِ التَّرْكِيبِ ، تَمَّ الْاِنْشَاءُ الْاَدْبِيَّ عَلَى مَا يُحَدِّدُهُ هَدْفُ الْمُنْشِئِ وَغَايَتُهُ ، فَلَا تَفَاضُلَ بَيْنَ الْبَدَائِلِ الْمَفْرَدَةِ ، وَلَا الْبَدَائِلِ الْبِنَائِيَّةِ إِلَّا بِمَا يَحَقِّقُ تِلْكَ الْغَايَةَ وَيَخْدُمُ تِلْكَ الْاِرَادَةَ ، وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ مِرَادُ الْاِمَامِ عَبْدِ الْقَاهِرِ - رَحِمَهُ اللهُ - عِنْدَمَا قَالَ : اِنَّ الْكَلِمَاتِ الْمَفْرَدَاتِ لَا تَتَفَاضَلُ بِاِعْتِبَارِ نَوَاتِيهَا ، وَلَكِنْ تَتَفَاضَلُ بِحَسَنِ وَضْعِهَا بَيْنَ جَارَاتِهَا ، بِاَنَّ تَتَنَاسَقَ دَلَالَاتِهَا ، وَتَتَلَاقَى مَعَانِيهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ الْمَعْنَى ( ٣ ) ، فـ ( الْفَضِيلَةُ وَخِلَافُهَا فِي مَلَاحِظَتِهَا مَعْنَى الَّتِي تَلِيهَا ) ( ٤ ) .

( ١ ) دلائل الإعجاز ٨١ ، ٨٢ .

( ٢ ) السابق ٨٢ .

( ٣ ) ينظر : دلائل الإعجاز ٥٠ .

( ٤ ) السابق ٤٦ .



ومن هنا حَسُنَتْ كلمة " أَدْعُ " التي تعني " عِرْقًا فِي الْعُنُق " ،  
 فِي تَرْكِيْبِ ، فَكَانَتْ خَفِيْفَةً فِي النُّطْقِ ، مَحْبُوْبَةً فِي السَّمْعِ ، وَكَانَتْ عَلَيِ  
 الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ فِي آخِرِ (١) ، حَتَّى وَلَوْ كَانَ الْأَسْلُوْبَانِ لِمَتَكَلِّمٍ وَاحِدٍ .  
 وَلِمَثَلِ ذَلِكَ اخْتَارَ الْأَسْلُوْبُ الْقِرَائِيَّ كَلِمَةَ ( ضِيْزَى ) فِي قَوْلِهِ  
 تَعَالَى : { تَلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيْزَى } ، دُونَ كَلِمَتِي ( ظَالِمَةٌ ) أَوْ ( جَائِرَةٌ ) ،  
 مَعَ أَنَّ كِلَيْمَا عَلَيِ انْفِرَادِهِمَا أَحْسَنُ نَطْقًا وَأَكْثَرُ اسْتِعْمَالًا مِنْهَا ، وَمَا ذَلِكَ  
 إِلَّا لِأَنَّهَا مِتْلَاثِمَةٌ مَعَ آيَاتِ السُّورَةِ مَعْنَى وَلَفْظًا دُونَ الْأُخْرَيَيْنِ .  
 وَبَيَانَ ذَلِكَ أَنَّ كَلِمَةَ ( ضِيْزَى ) فِي أَصْلِ اللُّغَةِ بِمَعْنَى :  
 ( مُعْجَظَةٌ ) (٢) ، وَهَذَا الْمَعْنَى إِنَّمَا هُوَ الَّذِي يُوَصَّفُ بِهِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ  
 وَيَعْدُدُونَهَا ، قَالَ تَعَالَى : { أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى \* وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى }  
 (٣) ، وَهَذَا الْأَعْوَجَاجُ الَّذِي تَصَوَّرَهُ كَلِمَةُ ( ضِيْزَى ) يُقَابَلُ اسْتِقَامَتَهُ (ﷻ)  
 وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ ، فَهُوَ الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، وَهُوَ الَّذِي  
 عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ، وَهَذَا التَّقَابُلُ لَا

(١) مِنَ الْأَوَّلِ قَوْلُ الْحَمَاسِيِّ :

تَلَفَّتْ نَحْرَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتِي وَجَعْتُ مِنَ الْإِسْغَاءِ لَيْتًا وَأَدْعَا

وَمِنَ الثَّانِيِ قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِنْ أَدْعِيْكَ فَقَدْ أَضْجَعْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خَرْقِكَ

يَنْظُرُ : دَلَالَةُ الْإِعْجَازِ ٤٧ .

(٢) قَالَ ابْنُ فَارِسٍ : ( الضَّادُ وَالْوَاوُ وَالزَّاءُ : أَصْلَانِ صَحِيْحَانِ ، أَحَدُهُمَا نَوْعٌ مِنَ  
 الْأَكْلِ ، وَالْآخَرُ دَالٌّ عَلَيِّ " أَعْوَجَاجٍ " ) ثُمَّ قَالَ : ( وَالْأَصْلُ الْآخَرُ : الْقِسْمَةُ الضِّيْزَى )  
 يَنْظُرُ : مَعْجَمُ مَقَابِيْسِ اللُّغَةِ لِأَبِي الْحَسَنِ أَحْمَدَ بْنِ فَارِسٍ مَادَّةُ ( ض و ز ) ٣ / ٣٧٨ ،  
 ٣٧٩ .

(٣) سُورَةُ النُّجُمِ الْآيَاتَانِ ١٩ ، ٢٠ .

يتحقق بكلمة " ظالمة " أو " جائرة " مما يُظنّ أنه بديلٌ أوّلى من اختيار القرآن (١) .

وأما " لفظاً " فلأنّ السورة كلها أنت مسجوعةٌ على حرف الألف ، ( فجاءت اللفظةُ على الحرف المسجوع الذي جاءت السورةُ جميعها عليه ، وغيرُها لا يسدُّ مسدّها في مكانها ) (٢) ، ولهذا وذاك نجد النفوس تستريح للأسلوب في اختياره كلمة " ضيزى " ، دون " ظالمة " أو " جائرة " ، يتحكم في ذلك العقل والمنطق ، دون العاطفة والشرع .

ولم يكن الاهتمام بالنظر في اللفظة المفردة في القرآن الكريم من أجل ذلك فحسب ، بل لأن القرآن قد تحكّم في دلالات بعض الألفاظ التي استعملها بحسب سياقها والأسلوب الذي صاحبها ، فأضاف إلى معانيها معاني أخرى حقيقية ، وهو ما يمكن تسميته بـ ( اتّساع الدلالة الحقيقية ) ، فمعنى الكلمة الواحدة في أسلوب يختلف عنه في أسلوب آخر (٣) .

من ذلك على طريق التمثيل لفظ " القلم " ، فقد كان قبل نزول القرآن لا يتعدّى الدلالة على ( آلة الكتابة ) التي كانوا يتخذونها من أعواد النباتات ، وهذا هو المعنى الأصلي وهو المقصود في قوله تعالى : { ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ } (٤) ، بدليل ذكر ما يُستخدَمُ فيه : { وَمَا

---

(١) وذلك لأنّ " الظلم " يعني : وضع الشيء في غير موضعه ، و"الجور" : نقيض العدل ، تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي - مادة : ( ج و ر ) ومادة : ( ظ ل م ) .

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير ١ / ١٧٧ .

(٣) ينظر : عربية القرآن لعبد الصبور شاهين ٨٧ .

(٤) الآية الأولى من سورة القلم .

يَسْطُرُونَ } فهو مع هذه الآية ( قَلَمُ الْقُدْرَةِ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ مَا أَبْدَعَهُ اللَّهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : اكْتُبْ ، فَخَطَّ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ ) (١) .

ومع ذلك نجد " القلم " في سياقٍ آخر وأسلوبٍ مختلفٍ يعني معنى آخر يَخْتَلِفُ تَمَامًا عَنِ الْأَوَّلِ ، قَالَ تَعَالَى : { أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } (٢) ، القلم هنا هو ذلك الموجود المخلوق الذي يتعلّق بعلم الله الذي يفيض به على الإنسان ، والذي تُسَجَّلُ بِهِ الْمَنَافِعُ الَّتِي لَا يُحِيطُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ ، وَالَّتِي انبنت عليها استقامة أمور الدنيا والآخرة (٣) .

كلُّ ذَلِكَ وَغَيْرُهُ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ ، لَمْ يَثْبُتْ أَنْ أَحَدًا تَوَصَّلَ إِلَى أَنْ كَلِمَةٌ لَيْسَتْ مَتَمَكِّنَةً فِي مَكَانِهَا ، وَأَنْ غَيْرَهَا أَوْلَى مِنْهَا بِالِاخْتِيَارِ فِي الْأَسْلُوبِ الَّتِي جَاءَتْ فِيهِ ، أَوْ أَنْ أَحَدًا مَعَانِيهَا صَالِحٌ لِكُلِّ أُسْلُوبٍ مِنْ اسْتِعْمَالِهَا .

و" الكلمة المفردة " بما لها من خصوصيةٍ في التعبير والأداء ، وبما أكسبها القرآن الكريم من دلالاتٍ مختلفةٍ باختلاف السياقات ، وبما أضافه إليها من دلالاتٍ لم تكن لها من قبل ، وبما تُضيفه هي إلى الأسلوب التي هي أحد أجزائه من معانٍ : مظهرٌ من مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم ، ودليلٌ على العجز الجبليّ الفطري عن معارضته ، أو الإتيان ولو بأقصر سورة من مثله .

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي ٢٠ /

٢٨٥ ، وينظر : عربية القرآن ٨٧ .

(٢) الآيات من ١ - ٥ من سورة العلق .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٢٢ / ١٦٠ ، وعربية القرآن ٨٧ .

فاختيار الكلمات المفردة في سياق التراكيب التي تنتظم منها سرّ إعجاز القرآن الكريم ، ودليل هذا الإعجاز ، فـ( الاختيار بين المفردات والقواعد التركيبية التي تصب فيها المفردات محكوم بقواعد تتعلّق بخصائص المفردات ومجالاتها ، وطريقة وضعها ) (١) ، ولذلك قال ابن خلدون في المقدمة (٢) : ( .. لأنّ إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقةً ومفهومةً ، وهي أعلى مراتب الكمال مع الكلام فيما يختصُّ بالألفاظ في انتقائها ، وجودة رصفها وتركيبها ، وهذا هو الإعجاز الذي تقصّر الأفهام عن دركه ) (٣) .

(١) ينظر : النحو والدلالة لمحمد حماسة عبد اللطيف ٩٤ .

(٢) هو : عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون ( ت ٨٠٨ هـ ) ، ينظر :

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٤ / ٤٥ - رقم ٣٨٧ ، والأعلام ٣ / ٣٣٠ .

(٣) المقدمة لابن خلدون ٣ / ٢٤٧ .

## ثانياً : الإعجاز

الاهتمامُ بمعرفة " إعجاز القرآن " واجبٌ ؛ إذ هو الذي بُنيت عليه نبوءةُ نبيِّنا محمد (ﷺ) (١) ، وقد ثبت أن ( القرآن ) هو المعجزةُ الكبرى لنبيِّنا محمد (ﷺ) (٢) ، قال تعالى : { وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ \* أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } (٣) ، فعندما طلب هؤلاء الكافرون المبطلون أن يُنزلَ عليه (ﷺ) مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى - عليهم السلام - ، أُجيبوا باستفهامٍ تعجُّبي إنكاري : هل لا يكفيهم من الآياتِ آياتُ القرآن ؟ وكلُّ ثلاثِ آياتٍ منه مقدارُ معجزةٍ ، وهذا لم يحصل لأحدٍ قبَّله (ﷺ) من رُسُلِ الله (٤) أجمعين .

وأصل ( العَجْرُ ) الضَّعْفُ ، يُقَالُ : عَجَزَ وَعَجَزَ يَعَجِرُ عَجْزًا ، فهو عاجزٌ ضعيفٌ (٥) ، هذا في الفعل اللّازم ، ويُقَالُ فِي المتعَدِّي :

- 
- (١) ينظر : إعجاز القرآن لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلائي ١٠ .
- (٢) هذا لا يتعارض مع ما ثبت من معجزاته (ﷺ) غير القرآن ، فرسالته (ﷺ) قد بُنيت على معجزة القرآن ، وإن كان قد أُيدَ بمعجزات كثيرة ، ينظر : إعجاز القرآن للباقلاني ١٠ .
- (٣) سورة العنكبوت ٥٠ ، ٥١ .
- (٤) ينظر : التحرير والتنوير ٢١ / ١٤ - ١٨٨٤ م .
- (٥) ينظر : العين مادة ( ع ج ز ) ، وقال ابن فارس : ( العين والجيم والزاي ) أصلان صحيحان ، بدلُ أحدهما على الضعف ، والآخر على مؤخر الشيء ، فالأولُ : عَجَزَ عن الشيء يعجز عجزًا فهو عاجزٌ ، أي : ضعيفٌ .. ) ، ينظر : معجم مقاييس اللغة مادة : ( ع ج ز ) .

أَعَجَزْتِي فَلَانَ وَعَجَزْتِي (١) : إِذَا عَجَزْتُ عَنْ طَلْبِهِ وَإِدْرَاكِهِ ، وَمِنْهُ قِرَاءَةُ : { وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } (٢) ، تَأْوِيلُهَا أَنَّهُمْ كَانُوا يُعْجِزُونَ مَنْ اتَّبَعَ النَّبِيَّ (ﷺ) وَيَتَّبِطُونَهُمْ عَنْهُ (٣) .

وَعَلَى ذَلِكَ فَإِذَا حَاولَ أَحَدُنَا فِعْلَ شَيْءٍ ، فَبَدَلَ كُلِّ مَا عِنْدَهُ مِنْ قُوَّةٍ ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ فِعْلَهُ ، يُقَالُ فِيهِ : أَعْجَزَهُ هَذَا الشَّيْءُ يُعْجِزُهُ إِعْجَازًا ، وَيُقَالُ فِي الشَّخْصِ حِينَئِذٍ : إِنَّهُ سَقَطَ فِي ( الْعِزْ ) وَهُوَ عَدَمُ الْقُدْرَةِ عَلَى مَا يَرِيدُ (٤) .

و" التحدي " قبل " العجز والإعجاز " ، فـ ( معجزة النبي (ﷺ) : ما أعجز به الخصم عند التحدي ) (٥) ، ويقال : تحدى الرجل الرجل بمعنى باراه ونازعه ، ويقال : أنا خديك في هذا الأمر ، أي : ابرز لي فيه (٦) ، ويقال : تحديت فلاناً ، إذا باريتَه في فعلٍ ونازعتَه الغلبةَ (٧) ، والخديا : المنازعةُ والمباراةُ (٨) ، ومعنى المباراة : أن يُباري الرجلُ الرجلَ فيصنع كما يصنع ، يُغالبُ أحدهما الآخرَ ، وهما يتباريان (٩) .

- 
- (١) قال في الكشاف : ( .. فإذا سبقه قيل أعجزه وعجزه ) الكشاف ٤ / ٢٠٣ .  
 (٢) سورة الحج آية ٥١ ، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وغيرهما .  
 (٣) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم مادة ( ع ج ز ) .  
 (٤) ينظر : مداخل إعجاز القرآن للشيخ محمود شاكر ١٦ .  
 (٥) قال الزبيدي : ( ومعجزة النبي (ﷺ) : ما أعجز به الخصم عند التحدي ، والهاء للمبالغة ، والجمع : معجزات ) تاج العروس مادة ( ع ج ز ) .  
 (٦) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم مادة ( ح د ي ) .  
 (٧) ينظر : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية مادة : ( ح د ا ) .  
 (٨) ينظر : تاج العروس مادة : ( ح د ي ) .  
 (٩) ينظر : العين مادة : ( ب ر ي )

والذي يتفق مع ما نحن فيه قولُ ابن سَيِّده : ( أنا حَدِيَّكَ في هذا الأمر ، أي : ابرَزْ لي فيه ) ؛ إذْ هو المناسب لمعنى ( التَحَدِّي ) الذي يقع من الأنبياء ، فالنبيُّ (ﷺ) - وأيُّ نبيٍّ - يأتي قومَه بشيءٍ لا يكون أحدٌ من المخلوقين إلا وقد سَلِبَ القدرةَ عليه فِطْرَةً ، ثم يطلب منهم أن يأتوا بمثله (١) .

وإذا كان هذا هو معنى التَحَدِّي ، فإنَّ النبيَّ محمدًا (ﷺ) يكون قد تحدَّى قومَه ، فطلب منهم أن يأتوا بمثل ما جاءهم به ، حتى ولو بسورة من مثله ، فلم يقدروا على ذلك ، وعَجَزُوا ، ويكون هو الذي عَجَزَهم . وقد اختلف المعنويون بإعجاز القرآن الكريم في السبب الذي به عَجَزَ العرب - وهم أرباب الفصاحة والبيان - عن أن يأتوا ولو بسورة من مثله ، وكان أظهر وجهٍ عندهم وأشهرُه هو وجه البلاغة (٢) ، فالقرآن الكريم قد بلغ فيها ( مَبْلَغًا تعجز قدرة بُلْغَاء العرب عن الإتيان بمثله ) (٣) ، والبلاغةُ هي أقوى وجوه الإعجاز في القرآن ، والإخبارُ عن الأمور المستقبلية وإن كان مقبولاً قوياً إلا أنه ( ليس بالأمر العام الموجود في كل

(١) وهذا المعنى المفهومُ من كلام ابن سَيِّده ، هو الذي رأى الشيخ محمود شاكر - رحمه الله - أنه على عكس ما في كتب اللغة ، وأنه هو المقصود عند ذكر الأنبياء وتحديهم الناس بمعجزاتهم ، لذلك رأيناه يذكر معنيين للتحدِّي ، ويجعل المعتمدَ منهما هنا هو ما يفهم منه أن المتحدِّي يأتي شيءٍ ليس عند الخلاق مثله فيتحداهم به ، ينظر : مداخل إعجاز القرآن ٢١ ، ٢٢ .

(٢) ذكر الخطابي في رسالته من هذه الوجوه ( خمسة ) وأبان عن رأيه إزاء كل منها ، ومنها ( البلاغة ) وهي محلُّ اهتمامه ، وزاد معاصره الرُّمائي في رسالته ( النُكْت ) اثنتين .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ١ / ١٠٤ .

سورة من سور القرآن ، وقد جعل سبحانه في صفة كل سورة أن تكون  
مُعْجَزةً بنفسها ( ١ ) .

---

(١) بيان إعجاز القرآن للخطابي ٢٣ ، ٢٤ .



المبحث الثالث  
الخطابي ورسائله

أولاً : اسمه ونسبه

هو : الإمام العلامة الحافظ اللُّغويُّ (١) حَمْدُ (٢) بن محمد بن إبراهيم بن الخطَّاب ، الخطَّابيُّ (٣) البُسْتِيُّ (٤) ( ت ٣٨٨ هـ ) .

ثانياً : صفاته

إمامٌ فاضلٌ ، كبيرُ الشأن ، جليلُ القدر ، صاحبُ التصانيف  
الحسنة (٥) ، لُغويُّ شاعرٌ (٦) .

- 
- (١) لقبه بهذه الألقاب شمس الدين الذهبي ، ينظر : سير أعلام النبلاء ٢٣/١٧ .
- (٢) نُسِبَ إلى الخطَّابيِّ أَنه قال : اسمي الذي سُمِّيْتُ به ( حَمْدُ ) ، ولكنَّ الناس كتبوا ( أحمد ) فتركته عليه ، ينظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ٢١٥/١ ، ولذلك سمَّاه بعض أصحاب التراجم ( أحمد ) ، ينظر معجم الأدباء لياقوت الحموي ٤٨٦ رقم ١٧٥ ( المجلد الثاني ) .
- (٣) ذكر الجلال السيوطي أَنه من ولد زيد بن الخطَّاب أخي عمر بن الخطَّاب (ؓ) ، ونقل عن بعضهم أَن الجَمَّ الغفير ذَكَرَ أَن اسمه ( حَمْدُ ) وضُبِطت الميم فيه بالفتح أيضاً ، ينظر : بُغية الوعاة في طبقات اللُّغويين والنُّحاة ٥٤٦/١ ، أمَّا التاج السبكي فقد قال عن أَنه من ولد زيد بن الخطَّاب : ( ولم يثبت ذلك عندي ) طبقات الشافعية الكبرى ٢٨٣/٣ ، ٢٨٢ .
- (٤) (بُسْت) : مدينة بين سجستان و غزنيين و هراة ، سئل عنها بعض الفضلاء فقال : هي كتشيتها ، قال ياقوت : وخرج منها جماعة من أعيان الفضلاء منهم : الخطَّابيُّ أبو سليمان أحمد بن محمد البُسْتِي ، ينظر : معجم البلدان لياقوت ٤١٤ / ١ ، ٤١٥ .
- (٥) ينظر : الأساب للسماعي ٣٨٠ / ٢ .
- (٦) ينظر : معجم المؤلفين ٦٥٢ / ١ .

وقد كان فوق ذلك فقيهاً أديباً مُحْتَنًا (١) ، وسمع من العلماء الفضلاء بمكة والبصرة وبغداد (٢) ، رَوَى جلال الدين الذهبي ( ت ٧٤٨ هـ ) بسندٍ قال : ( وأما أبو سليمان الشَّارحُ لكتاب أبي داود فإذا وقف مُنْصِفٌ على مُصنَّفاته ، واطَّلَعَ على بديع تَصْرِفاته في مُؤلَّفاته تَحَقَّقَ إمامته وديانته فيما يُورده ، وأمانته ) (٣) .

### ثالثاً : مؤلفاته

للخطابي مؤلفاتٌ كثيرةٌ من أهمها وأشهرها :

- ١ - كتاب ( معالم السنن ) ، وهو شرحُ سنن أبي داود ( ٢٧٥ هـ ) .
  - ٢ - كتاب ( غريب الحديث ) ، قال عنه الثعالبي ( ت ٤٢٩ هـ ) : ( وهو في غاية الحسن والبلاغة ) (٤) ، وقال القفطي ( ت ٦٤٦ هـ ) : ( وهو غايةٌ في بابه ) (٥) .
  - ٣ - كتاب ( أعلام الحديث ) في شرح صحيح البخاري (٦) .
  - ٤ - وله رسالةٌ تُسمَّى ( بيان إعجاز القرآن ) موضوع هذه الدراسة .
- رابعاً : تحقيق نسبة الرسالة إليه :

(١) ينظر : وفيات الأعيان ٢ / ٢١٤ .

(٢) ينظر : الأنساب ٢ / ٣٨٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٧ / ٢٣ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٧ / ٢٤ ، ٢٥ .

(٤) بتيمة الدهر في محاسن أهل العصر للثعالبي ٤ / ٣٨٣ .

(٥) إنباه الرواة على أنباه النحاة لعلي بن يوسف القفطي ١ / ١٦٠ ، وكتاب الخطابي هذا حققه في جامعة أم القرى / عبد الكريم إبراهيم العزباوي ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، ثم في دار الفكر بدمشق .

(٦) حققه د / محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود ، وطبع بجامعة أم القرى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م .

هذه الرسالة مشهورة على أنها للخطابي ، غير أنني وجدتُ جمعًا  
غيرًا ممن ترجموا له لم ينصوا في أثناء ذكر مؤلفاته على هذه الرسالة (١)  
، وقلة قليلة منهم هم الذين تعرّضوا لها ونسبتها إليه ، من ذلك :

١: كشف الظنون ، ذكر مؤلفه أبا سليمان الخطابي ضمن من  
صنّفوا في علم " إعجاز القرآن " ، وهذا مما يُطمئن إلى صحّة نسبة هذه  
الرسالة إليه ، لكنّ المؤلف قد قدّم فخر الدين الرازي ( ت ٦٠٦ هـ ) في  
الذكر على الخطابي تاركًا ذكر وفاته (٢) ، وهذا يوحي بأنّه يظنُّ أنّ أبا  
سليمان جاء متأخرًا عن الفخر الرازي :

ومهما يكن من شيء فإنّ في وقوع مثل هذا الخلط من صاحب  
( كشف الظنون ) ما يؤكّد على عدم درايته بالعصر الذي عاش فيه  
الخطابي ، ولا الإحاطة التامة بجميع أخباره ، ولعلّ هذا هو السبب في  
عدم تعرّضه لذكر تاريخ وفاته في هذا المقام .

٢ : الأعلام ، فقد جاء فيه ممّا للخطابي من المؤلفات : ( بيان  
إعجاز القرآن - ط ) (٣) .

٣ : معجم المؤلفين ، قال مؤلفه وهو يعدّد من تصانيف

---

(١) طالعت : يتيمة الدهر ، والأنساب ، وإنباه الرواة ، ومعجمي : الأدباء ، والبلدان  
، ووقيات الأعيان ، وسير أعلام النبلاء ، وطبقات الشافعية الكبرى ، وبغية الوعاة ،  
وخزانة الأدب للبغدادى ١٢٣ / ٢ .

(٢) ينظر : كشف الظنون ١ / ١٢٠ .

(٣) الأعلام للزركلي ٢ / ٢٧٣ ، ونُسب إلى الخطابي أنه ألف في إعجاز القرآن في  
كتاب ( أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ) للّقنوجي ٢ / ٧٨ ، ٧٩ .

الخطابي : ( ورسالة في إعجاز القرآن برواية السجزي<sup>(١)</sup> ) (٢) .

ونحن لا نشكك في بقة تلك الكتب التي ترجمت للخطابي ، ولا نقل من شأنها ، ولكن ذلك لا يمنع من القول بأن أمهات كتب التراجم وأقدمها قد تركت نسبة هذه الرسالة إلى الخطابي ، وللنفوس أن تذهب كل مذهب .

ومع ذلك يمكن أن تحلل قلة من اهتموا بذكر هذه الرسالة ونسبها إلى الخطابي بأمور منها :

- أن هذه الرسالة إذا قيست حجماً بباقي مؤلفات الخطابي فهي أقلها ، بل لا مجال للمقارنة بينها وبين كثير منها .
- وأن شهرة الخطابي الواسعة وصيته الذائع إنما كانا في الحديث الشريف ، بل هو من المحدثين ، فلم تكن رسالته في إعجاز القرآن لتشغل حيزاً من اهتمامات من ترجموا له .
- وأن هؤلاء الذين ترجموا له لم يكونوا معنيين بالحصص لكل ما ألفه - رحمه الله - ، فتركت هذه الرسالة ، وربما ترك معها غيرها .

وقد ذكر كثير من العلماء المدققين الأجلاء نسبة هذه الرسالة للخطابي ، وبين أهميتها ومكانتها بين أول ما وصل إلينا من مؤلفات في الإعجاز وأشهرها ، وعلى رأس هؤلاء العلامة المحقق الشيخ محمود شاكر<sup>(٣)</sup>

---

(١) هو : عبيد الله بن سعيد بن حاتم بن أحمد ( ت ٤٤٤ هـ ) ، ينظر : سير أعلام

النبلاء ١٧ / ٦٥٤ .

(٢) معجم المؤلفين ١ / ٦٥٢ .

(٣) مداخل إعجاز القرآن للشيخ محمود محمد شاكر ٨١ - ٨٢ .

، ممَّا يُؤكِّد صحَّةَ نسبتها إلى المُحدِّث الحافظ الإمام أبي سليمان  
الخطَّابي - رحمهم الله أجمعين - (١) .

خامسًا : أهمية الرسالة وبيان مضمونها

وترجع أهمية رسالة الخطَّابي ( بيان إعجاز القرآن ) إلى أنها  
تمثِّل رأيَ " أهل السُّنة " في الإعجاز القرآني في القرن الرابع  
الهجري ، كما مثَّلت رسالة مُعاصِرِه عليّ بن عيسى الرُّمائيّ  
( ت ٣٨٦ هـ ) ( النكتُ في إعجاز القرآن ) رأيَ المعتزلة (٢) ،  
فضلا عن أنها - مع رسالة الرُّمائيّ - أولُ ما وصل إلينا من  
مؤلَّفات في ( إعجاز القرآن الكريم ) .

فقد بدأ التَّأليف في ( إعجاز القرآن ) على يد أبي عثمان  
عمرو بن بحر الجاحظ ، وقد دُفِع إليه دفعا ، عندما أعجبت النُّظَّام (٣)  
نفسه فذهب يقول : ( إنَّ القرآن حقٌّ وليس تأليفه بحجَّةٍ وإنه تنزِيلٌ  
وليس ببرهانٍ ولا دلالة ) ، فسلبَ بذلك نظمَ القرآن وتأليفه كلَّ فضلٍ  
وفضيلةٍ (٤) ، فنهض أبو عثمان بحسِّه الأدبي الذي أبى عليه قبول ذلك  
اللُّغو من القول ، فألَّف أولَ مكتوبٍ في شأن الإعجاز سمَّاه : " نظم

---

(١) ينظر تحقيق نسبة الرسالة إلى الخطَّابي فيما كتبه المحققان لـ ( ثلاث رسائل في  
إعجاز القرآن ) ص ١٢ .

(٢) ينظر : أثر القرآن في تطور النقد العربي لمحمد زغلول سلَّام ٢٥٥ .

(٣) هو : أبو إسحاق إبراهيم بن سيَّار النُّظَّام ، شيخُ المعتزلة ، وشيخُ الجاحظ ( ت  
٢٣١ هـ ) ، ينظر : سير أعلام النبلاء ١٠ / ٥٤١ رقم ١٧٢ ، والأعلام ١ / ٤٣ .

(٤) ينظر : مدخل إعجاز القرآن ٢٧ ، ٦٢ ، ٦٣ .

القرآن وسلامته من الزيادة والنقصان " (١) ، ولكنه فقد مع ما فقد من تراث المسلمين .

ولهذا تُعدُّ رسالة الخطابي في إعجاز القرآن الكريم القطب الأول والأصل المهم لكل من جاءوا بعده ، ممن اهتموا بوجوه الإعجاز في القرآن العظيم ؛ وربما تكون قد سبقت بكثير من المؤلفات في موضوعها لكن شيئاً منها لم يسلم من الضياع أو الإفساد .

يقول الخطابي عن وجوه الإعجاز : ( قد أكثر الناس في هذا الباب قديماً وحديثاً ، وذهبوا فيه كل مذهب من القول ، وما وجدناهم بعد صدروا عن رأي ؛ وذلك لتعدُّ معرفة وجه الإعجاز في القرآن ، ومعرفة الأمر في الوقوف على كفيته ) (٢) .

وقد ذكر الخطابي وجوهاً لإعجاز القرآن الكريم (٣) ، بها عجز الثقلان عن معارضته أو الإتيان ولو بسورة من مثله ، منها : تركهم المعارضة - وقد بقي (ﷺ) يتحداهم عشرين سنة - وهم أرباب

---

(١) وسمّاه في كتاب الحيوان : " الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبديع تركيبه " ، ينظر الحيوان ٩ / ١ ، وأما أول مؤلف يحمل اسم " إعجاز القرآن " فهو الذي كتبه أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي ( ت ٣٠٦ هـ ) ينظر : مداخل إعجاز القرآن للشيخ محمود شاكر ٢٧ ، ٢٨ ، ٧٠ .

(٢) بيان إعجاز القرآن ٢١ .

(٣) باقي الوجوه التي ذكرها : ( الصرفة ) وردّها وأبطلها ، و ( ما جاء فيه من الإخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان ) وجعّله خاصاً بالآيات المشتملة عليها ، ( صنيعه في القلوب وتأثيره في النفوس ) وقال عنه : ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من أحادهم ، ينظر : بيان إعجاز القرآن ٢٢ ، ٢٣ ، ٧٠ ، ٧١ .

الفصاحة والبيان ، وهم موصوفون برزانة الأحلام ووقارة العقول ، فضلا عمّن كان فيهم من الخطباء المصاقع <sup>(١)</sup> ، والشعراء المُفْلِقِينَ <sup>(٢)</sup> ، وما وصفهم الله - تعالى - به من الجدل واللّد ، قال سبحانه : { وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا } <sup>(٣)</sup> .

ولزيادة اهتمامه بوجه " البلاغة " من بين ما ذكر من الوجوه ألفيناها قد استولت على ما يزيد على الثلثين من مساحة رسالته ، وما ذلك إلا لأهميتها عنده واستحواذها على فكره .

### سادسًا : علة اختيار رسالة الخطابي لهذه الدراسة

الحاجة أدعى لدراسة هذه الرسالة أسلوبياً؛ لما قدم لها به من بحث في هذا المجال ، حيث قسّم الكلام ثلاثة أقسام : ( البليغ الرّصين الجزل ) ، و ( الفصيح القريب السهل ) ، و ( الجائز الطلق الرّسل ) ، ثم ذكر أنّ القرآن الكريم في ( أسلوبه ) قد مزج بين تلك الأقسام ، فاننظم بامتزاجها نمطاً من الكلام يجمع صفتي " الفخامة " و " العذوبة " ، وهما كالمتضادّين <sup>(٤)</sup> ، فالأسلوب الواحد من القرآن يحوي هذه

(١) يقال : خطيبٌ مصقّع - بكسر الميم - أي بليغٌ ، ويُقال : صقّع في القول أي تفنّن وذهب كلُّ مذهب ، ينظر كلُّ من : المحكم والمحيط الأعظم - مادة : ( ص ق ع ) ، والمعجم الوسيط - مادة : ( ص ق ع ) .

(٢) يقال : شاعرٌ مُفْلِقٌ أي مُجيدٌ ، وهو الذي يأتي بما يُعجب في شعره ، ينظر كلُّ من : المحكم والمحيط الأعظم ، والمعجم الوسيط مادة : ( ف ل ق ) .

(٣) سورة مريم من الآية ٩٧ ، يُقال : رجلٌ لُدٌّ أي شديدُ الخصومة ، يُنظر : المحكم والمحيط الأعظم ( ل د د ) ، و : مختار الصحاح - مادة ( ل د د ) .

(٤) ينظر : بيان إعجاز القرآن ٢٦ ، والضدّان : لا يجتمعان وقد يرتفعان ، كاللونين (الأبيض والأسود) ، والنقيضان : لا يجتمعان ولا يرتفعان ، كالحياة والموت ، لذلك

الأقسام من الكلام ، ويجمع بينها (١) ، مع نبؤ كل واحد منها عن الآخر ، وتلك صفات أسلوبية ، قال صاحب " التحرير والتنوير " : ( الجزالة والرقّة يندرجان تحت " الأسلوب " ) (٢) .

ثم بيّن الخطّابي - رحمه الله - أنّ تلك فضيلةٌ خصّ بها القرآن (٣) دون غيره من جميع ما سواه ، فأسلوبه الرائع التّأليف هو سرُّ إعجازه (٤) ؛ لأنّ ذلك خارجٌ عن طوق جميع المخلوقين ، وهو بذلك يمهدّ لنظريته في ( النظم ) التي لم يسبقه أحدٌ إلى مثل ما أثير عنه فيها ، من توضيح لها وتبيين لما تُبنى عليه ، وهذا ما جعلنا نقول : إنه أحدُ المصادر المهمة التي اتّكأ عليها الإمام عبد القاهر في أثناء بنائه نظرية النظم .

ولا نبالغ إذا ما قلنا : إنّ مصطلح ( الأسلوب ) بمفهومه العلمي كان واضحاً بنسبة كبيرة في ذهن الإمام الخطّابي ؛ ففي أثناء حديثه في ( بيان إعجاز القرآن ) عن أحد أنواع المعارضات ، جاء قوله : .. وهو أن يجري أحدُ الشاعرين في أسلوبٍ من أساليب الكلام ووادٍ من أوديته ، فيكون أحدهما أبلغ في وصف ما كان من باله من الآخر في

---

كان اجتماع الفخامة والعذوبة في كلام واحد خرقاً للعادة ، وقد يخلو كلامٌ منهما معاً ؛ لانحطاطه عن رتبة البلاغة .

(١) ينظر : أثر القرآن في تطور النقد ٢٥٦ .

(٢) التحرير والتنوير ١ / ١٢٤ .

(٣) ينظر : بيان إعجاز القرآن ٢٦ .

(٤) ينظر : نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم لأحمد سيد محمد

عمار ٨٤ .



نعت ما هو بإزائه .. (١) ، وهذا يعني : تعدّد الطرق في استعمال اللغة واختلاف صياغاتها الذي هو محور علم الأسلوب وقوامه في العصر الحديث .

وهذا القول يدلُّ دلالة واضحة على أنّ مفهوم ( الأسلوب ) في كلام الخطّابي قريبٌ ممّا هو عليه الآن ، مما يُنسب إلى العلماء غير العرب على ما مرّ في مقامه ، وهذا يؤكّد أهمية دراسة الأسلوب في رسالة الإمام الخطّابي بخاصة ، وفي تراثنا العربيّ الأصيل بعامة .

ويتطرّق الخطّابي إلى بعض فنون الأسلوب ، ومنها ( اللفظة المفردة ) ، التي هي أساس بنية النصّ ، فيوليها عناية خاصة ، وينبّه على ضرورة الاهتمام بها ، ودقة اختيارها ، وحسن استعمالها في مكانها الذي إذا لم تُصادفه حصل إمّا تبدّل المعنى ، أو سقوط البلاغة (٢) .

ولمّا كان هذا ( الاختيارُ ) شديدَ الاتصال بقضية ( الترادف ) بين المفردات ؛ لما يتطلّب إنشاء الكلام من دقّة في الاختيار ، من بين ما يظنّه كثيرون من أنّ إحدى اللفظتين تقوم مقام أخرى ، فقد تعرّض الخطّابي للمفردة القرآنية ، ونفى أن تحلّ واحدة منها محلّ أخرى ، فتؤدّي معناها .

لقد جعل الخطّابي نفي الترادف بين المفردات مظهراً من مظاهر إعجاز القرآن الكريم ودليلاً على ثبوته ، فإذا ما ثبت أنّ كلّ

(١) بيان إعجاز القرآن للخطّابي ٦٥ .

(٢) ينظر : السابق ٢٩ .

مفردة من مكونات النسق القرآني قد أسهمت في بنائه ، وتعاونت مع جاراتها على أداء مراد الله - عز وجل - من نصوصه ، وأن التي يُظنُّ أنها ترادفها وتقوم مقامها وتؤدي دورها لا تمثل شيئاً من ذلك ، ثبت أن " اختيار المفردة " من بين بدائلها مظهر من مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم ، استأثر الله تعالى به دون أحد من خلقه .

وكما كان اهتمام الخطابي موجهاً إلى اللفظة التي يُظنُّ أن غيرها يقوم مقامها ويؤدي دورها في التعبير ، كما فيما بين " الشَّحْ " و " البُخْلِ " ، كان اهتمامه كذلك باللفظة التي قد يُظنُّ أن غيرها أولى منها بالاختيار والاستعمال في السياق الذي وردت فيه ؛ ظناً منهم أنها أدقُّ مما استعملت في أداء المراد ، كما في قوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف - عليه السلام - : { قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذَّنْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ } (١) ، فقد نكر الخطابي على لسان معترض أن الأولى أن يُقال " افترسه " بدلا من " أكله " وسيأتي لذلك بسط في مقامه .

وكلا الاتجاهين للذين سار فيهما الخطابي في إطار اهتمامه بالكلمة المفردة في الأسلوب المعجز - وهما : ( انتفاء أن كلمة غير المُستعملة تقوم مقامها ) ، أو ( أن أخرى أولى منها بالاستعمال ) - ينضويان تحت ما يُسمى حديثاً بـ ( محور الاختيار ) أو ( العلاقات الاستبدالية ) على ما مرَّ التتويه إليه ، ويقصدُ به في جانب البشر - والله المثل الأعلى - مجموعة الألفاظ القائمة في الرصيد المعجمي للمُنشئ ، والتي يكون له حرية الاستبدال من بينها .

(١) سورة يوسف آية ١٧ .

ثم تأتي عقب ذلك الاختيار عملية أخرى تُسمى بـ (العلاقات  
الركنية) ، وفيها تخضع الكلمات المختارة لقانون التجاور ، وهي  
تتمثل في رصف هذه الكلمات وتركيبها حسب قوانين النظم التي ذكرها  
الإمام عبد القاهر ، وهي " عملية التركيب " التي يقوم بها المرسل في  
جهاز الإبلاغ اللساني على حدّ تعبير المسدي (١) .

ومفهوم كل من " العلاقات الاستبدالية " و " العلاقات الركنية "  
هو الذي عناه ( جاكبسون ) في تعريفه " الأسلوب " بأنه : ( إسقاط  
محور " الاختيار " على محور " التوزيع " ) (٢) .

لهذه الأسباب ولأنّ أبا سليمان عند المشاهير من أصحاب  
التراجم محدثٌ وشاعرٌ وأديبٌ ، وإمامٌ جليلٌ القدر في أهل السُّنة  
وعند أهل الأدب واللغة - فضلا عمّا له من أثر واضحٍ ومباشرٍ فيما  
كتبه الإمام عبد القاهر في ( النظم ) مما يستحقُّ أن يُفرد بالدراسة -  
كانت رسالته جديرة بالاهتمام ، وبهذا النوع من الدراسة .

ولقد حاولت في هذا البحث تطبيق هذين الاتجاهين ، مستعينة  
بدراسة تلك المفردات ضمن نسقها الأسلوبيّ ، متوسّلاً بالأدلة التي تقنع  
العقل ولا تُؤثّر على العاطفة ، متّكناً على الاستعمالات اللغوية لتلك  
المفردات ، موازناً بينها وبين ما يستدعيه أسلوب النظم القرآني من  
فرض وظيفة معيّنة على تلك المفردة دون غيرها من الوظائف التي قد  
تؤديها مع أنساقٍ أخرى من النظم والتأليف .

(١) ينظر : الأسلوبية والأسلوب لعبد السلام المسدي ١٣٧ .

(٢) ينظر في هذه المصطلحات وما استخلصت ذلك منه : الأسلوبية والأسلوب  
للمسدي ١٣٩ ، ١٤٠ ، و : اتجاهات النقاد العرب في قراءة النصّ الشعري الحديث  
لسامي عباينة ٢٢٧ .

نصل من وراء ذلك إلى أن أسلوب القرآن الكريم في اختيار مفرداته أسلوباً متميّزاً ومنفرداً ، فليس من المخلوقين من تسمّر عند الدقة في اختيار مفردات دون غيرها ، سواء أكان يُظنّ غيرها قريباً منها في المعنى ، أم يُظنّ أن غيرها أولى منها بالاستعمال ، وكذلك لم يُخلَق من يفكر ببراعة بيانه أن يُكسب لفظاً دلالة لم تكن لها ، وذلك بحسب الأسلوب الذي تأتي معه ، بل لا يجرؤ عليه ، وإن حاول أحدٌ فإنّ ذلك مردودٌ عليه ، فسبحان من أيّد رُسُلَه بالمعجزات .

إنّ هذه المزايا الثلاث ( الدقّة في اختيار المفردات ) ، ( البراعة في وضعها في مكانها اللائق بها من التركيب ) ، ( جعل بعضها - في بعض المقامات - يكتسب دلالات ما كان لها أن تُؤدّيها من قبل ) لَمِنْ مظاهر إعجاز القرآن الكريم ، وهو ممّا استأنز الله تعالى بعلمه دون أحد من خلقه ، فهم - كما قال وهو أصدق القائلين - { لَأَيُّونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً } (١) .

### سابعاً : الرسالة في الدرس الحديث

على أن أثر الخطابي في دراسة المفردات - التي يرى كثيراً من الناس أنها مترادفة - لم يقف عند حدّ إثبات خصوصية لكلّ منها فيما تؤدّيه من معنى ، وتتفرّد بأدائه دون غيرها ، ممّا لو استبدلت به تغيّر المعنى أو ذهب الرونق ، والذي يكون معه سقوط البلاغة كما عبّر في هذا الموضع (٢) ، ولكننا وجدناه - رحمه الله - يذهب إلى أن

(١) سورة الإسراء من الآية ٨٨ .

(٢) ينظر : بيان إعجاز القرآن ٢٩ .

الأسلوب القرآني يُوجد للمفردة معنى لم تكن مشهورةً به في الاستعمال من قبل ، هذا المعنى ينشأ من خلال التراكيب التي تأتي اللفظة ضمن بنائها ، وتشارك أجزاؤها وتتعاون في تصوير المعنى الكلي المراد منها على ما سيأتي في مقامه .

ومع ذلك قد يفهم من بعض الدراسات التي دارت حول الخطابي ورسائله في الإعجاز أنه قد اكتفى بنفي الأتحاد في المعنى والأداء بين المفردات المتقاربة ، كما هو الحال فيما بين " الشح " و " البخل " ، فقد قيل بأنه فرّق بينهما بأن ( الشح هو منع الحق ظلماً ، والبخل ما يجده البخيل في نفسه من الحزازة عند أداء الحقوق وإخراجها من يده ) (١) وذلك كما في قوله تعالى عن الجن وقد سخرهم - سبحانه - لنبيه سليمان - عليه السلام - : { يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ

---

(١) هذا نصُّ عبارة الشيخ محمد أبو موسى ، ينظر : الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم ٥٧ ، وإن كان الأمر في عبارة الخطابي على العكس من ذلك ، ففيها أن " البخل " منع الحق ، وأن " الشح " ما يجده الشحيح في نفسه من الحزازة ... ، ينظر : بيان إعجاز القرآن ٣٠ ، وهذا التغاير بين العبارتين لا يتعدى أن يكون سهواً في النقل ، وكلام العلامة صاحب الكشاف في أثناء تفريقه بينهما يؤيد هذا السهو ، وسيأتي تحقيق ذلك عند الحديث عن ( الشح والبخل ) في الجانب التطبيقي لهذه الدراسة ، ويجب التنبيه على أن عبارة الخطابي - ولو كانت منقولة كما هي - لم يذكرها راضياً عنها ، أو لينفي بها ما بين اللفظتين من اتفاق في الدلالة ، ولكنه ساقها ليبتلها ، وقد يكون الشيخ أبو موسى - عفا الله عنه - قد أخذ من قول الخطابي ( وقد وجدت هذا المعنى على العكس .. ) : أن الشح منع الحق ، وأن البخل ما يجده البخيل في نفسه ، فاعتبر أن العكس هو الفرق الصحيح بين دالتي الكلمتين .

شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ }<sup>(١)</sup> ، فقال الشيخ : ( وغاية الخطابي من وراء ذلك أن يقول : إن مراعاة هذه الفروق لم تتوفر في نص من النصوص كما توفرت في القرآن ، فقد روعيت - أي : الفروق - في كل كلمة وحرف فيه )<sup>(٢)</sup> .

وهذا حقٌ قال به الخطابي ، وهو كذلك في الواقع ، غير أن غايته لم تكن ذلك فحسب ، بل لقد أثبت - زيادةً على ذلك - أن القرآن الكريم يفرض على بعض المفردات معاني ودلالات لم تكن لها من قبل ، غير تلك التي اشتهرت بها في الاستعمالات البشرية ، وذلك كما في " الشُّحْ " الذي جعله بمعنى " أكل مال الآخرين ظلماً " ، على ما سيأتي .

وبذلك يمكن القول بأن الإمام الخطابي قد اتجه إلى الربط بين الأسلوب والغرض أو الموضوع ، فكما تعددت الموضوعات تعددت الأساليب ، وهذا الربط أحد وسائل إدراك الإعجاز القرآني<sup>(٣)</sup> :

ومما يزيد من الحاجة إلى دراسة هذه الرسالة أن كثيراً ممن تناولوها بالدراسة ، وأولوها الاهتمام ، قد جاءت بعض عباراتهم عنها غامضاً حيناً ، ومليئاً حيناً ، ومثيراً للعجب أخرى ، من ذلك قول العلامة الشيخ محمود شاكر عن الخطابي : ( فلما أراد أن يقول في الإعجاز برأيه ، لم يزد على ما فعله الرُّمَّاني في تقسيم أجناس الكلام

(١) سورة سبأ آية ١٣ .

(٢) الإعجاز البلاغي للشيخ محمد أبو موسى ٥٩ .

(٣) ينظر : البلاغة والأسلوبية لمحمد عبد المطلب ١٥ .

الفاضل ومراتبه ، وجعلها ثلاثة : البليغ الرصين الجزل ، وكذا .. وكذا .. (١) .

وهذا القول يُحمل بظاهره على أن تَمَّ شَبَّهًا بين تقسيم كل من الرُّمَّاني والخطَّابي مراتب البلاغة إلى أقسامها الثلاثة ، والواقع أن الرُّمَّاني قد قَسَمَهَا ثلاثَ طبقاتٍ ، وخصَّ العُلْيَا منها بالقرآن الكريم ، والباقيتين للبشر على قدر تفاوتهم في درجات الوُسْطَى منهما (٢) ، وواضحٌ أن بين هذه الأقسام تفاوتًا في الحُسْن والقبول ، بخلاف تلك التي عند الخطَّابي ، فالأقسام عنده كُلُّها فاضلٌ محمودٌ ، فقد قَسَمَ الكلامَ الفاضلَ المحمودَ دون النوعِ الهجينِ المذمومِ ثلاثةَ أجناسٍ ، وبامتزاجها انتظمَ نمطٌ من الكلامِ يجمع بين صِفَتَيْ ( الفخامة والعذوبة ) ، واجتماع هاتين الصفتين في القرآن - مع نُبوِّ كلِّ منهما عن الأخرى ؛ لِمَا بينهما من شَبْهِ التَّضَادِّ - فضيلةٌ خصَّ بها القرآن دون غيره ، ليكون آيةً على صدق نبيِّه محمدٍ (ﷺ) (٣) .

وهذا القول الذي قاله الشيخ محمود شاكر قد يكون السبب في خطأ شديد وقع فيه أحدُ الباحثين ، حيث اتَّهمَ أبا سليمان الخطَّابيَّ بالقول بأنَّ بلاغة القرآن قد حازت طبقةً من البلاغة الوُسْطَى وأخرى من الدُّنيا (٤) ، بجانب حيازته الطبقةَ العليا منها ، وحاشا لله أن يقول

(١) مدخل إعجاز القرآن ٨٤ .

(٢) ينظر : النُكت في إعجاز القرآن للرُّمَّاني ٧٦ .

(٣) ينظر : بيان إعجاز القرآن للخطَّابي ٢٦ .

(٤) قالت الدكتورة عائشة بنت عبد الرحمن في أثناء حديثها عن الرُّمَّاني : ( والبلاغة عنده على ثلاث طبقاتٍ ، عليا ووُسْطَى ودُّنيا ، فما كان أعلاها طبقةً فهو مُعجَزٌ ، وهو بلاغة القرآن ، وما كان دون ذلك فهو ممكن كِبلاغة البُلغَاء من الناس ) ثم أردفت ذلك

عاقِلُ - فضلاً عن مُحدِّثِ حَافِظٍ - - بمثل هذا الذي رُمِيَ به الإمام  
الخطَّابِي .

ومن العبارات الملبسة التي قيلت في الخطَّابِي عند ذكره أنواع  
الكلام المحمود ، التي حازت بلاغاتُ القرآن من كلِّ قسمٍ منها حصَّةً :  
( ولو أنَّ الخطَّابِي ذَكَرَ أَنَّ هذا التفاوتَ غيرُ كائِنٍ في القرآن ، لكانَ  
أقربَ إلى الكشْفِ عن البلاغةِ الخاصَّةِ (١) ؛ لأنَّ التفاوتَ في كلامِ  
النَّاسِ خصوصيةً من خصائصِ نفوسهم ) (٢) ، ومُسْتَبَعَدٌ جَدًّا أن يَنوي  
الخطَّابِي من هذا القولِ أَنَّ في القرآن تفاوتًا في درجاتِ البلاغةِ كالذي  
يوجد في بلاغاتِ البشر ، أو أنَّ هذه الأصنافَ من الكلامِ المحمودِ  
موجودةً في القرآن على الانفراد ، بل الأقربُ أن يكونَ قصدهُ وجودَ  
هذه الأنواعِ من الكلامِ المحمودِ على وجهِ الامتِزاجِ .

---

بقولها : ( خلافاً لما ذهب إليه أبو سليمان الخطَّابِي من أنَّ بلاغةَ القرآن تحوز هذه

البلاغات في طبقاتها الثلاث ) الإعجاز البياني للقرآن ١٠٤ .

(١) يعني بلاغة القرآن الكريم المعجزة .

(٢) الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم ٤٦ .



## المبحث الرابع

### دلالة الكلمة في الأسلوب القرآني عند الخطابي

من الخصائص الأسلوبية التي انتبه إليها الخطابي في القرآن الكريم ولا أظن أنه قد سبق إليها : اختيار " الكلمة المفردة " للتعبير عن معنى قد يُظن فيها أن غيرها يُؤدِّي وظيفتها ، أو أولى منها بالاستعمال في مكانها ، كل ذلك بحسب الظاهر ، وقد قرّر أيضاً - رحمه الله - أن عمود بلاغة القرآن الكريم التي فاقت بلاغات البشر تكمن في وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضوعة الأخص الأشكل به .

فالأسلوب يكون له نمطه ومعناه وفرقه ، فإذا ما أبدلت لفظة منه بأخرى مما يُظن أنها ترادفها ، أو أنها الأولى بالاستعمال منها ، تبدل المعنى ، وهذا يُفسد الكلام ، ويجعله غير صالح للتعبير عن معناه الذي يقصده صاحبه ؛ لأدائه حينئذ معنى الألفاظ التي استعملها ، قال الخطابي : ( ذلك أن في الكلام ألفاظاً متقاربة في المعاني ، يحسب أكثرُ الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب ، كالعلم والمعرفة ، والحمد والشكر ، والبخل والشح ... ) (١) .

ويستشهد الخطابي بأصول الاستعمالات اللغوية للألفاظ على عكس هذا الذي يحسبه أكثرُ الناس من تساويها في الدلالة ، فيتوصل إلى ( أن لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبها في بعض معانيها ، وإن كانا قد يشتركان في بعضها ) (٢) .

(١) بيان إعجاز القرآن ٢٩ .

(٢) السابق نفسه .

وقال - رحمه الله - : ( فإن قيل : إننا لا نسلم لكم ما ادّعيتموه من أن العبارات الواقعة في القرآن إنما وقعت في أفصح وجوه البيان وأحسنها ؛ لوجودنا أشياء منها بخلاف هذا الوصف عند أصحاب اللغة وأهل المعرفة بها ... ) (١) .

ولقد كان جهدُ الخطّابي في جعل ( الاختيار ) للكلمة المفردة أساساً لمفهوم الأسلوب في القرآن الكريم دائراً حول إبطال أن في المعجزة الكبرى كلمة تقوم أخرى مقامها ، فضلاً عن أن تكون أولى منها .

وسأقتصر على خمسة نماذج مما ذكره الخطّابي - وهو كثير - للاستدلال على ما نوهنا إليه .

---

(١) السابق ٣٧ ، ٣٨ .

## النموذج الأول

### الحمد والشكر

مما ساقه من تلك النماذج كلمتا ( الحمد والشكر ) ، فيذكر أنهما قد يشتركان في المعنى فيقال : ( الحمد لله على نعمة ، أي : الشكر لله عليها ) <sup>(١)</sup> فهما مترادفتان ، وبهذا صرح بعض أهل اللغة <sup>(٢)</sup> .

وإذا كان أهل اللغة قد قالوا بالترادف بين اللفظتين ، فإن الإمام الخطابي ( رحمه الله ) قد سلك مسلكاً آخر مخالفاً لهم ، وهو التقريب بينهما ، وأن لكل كلمةٍ منهما معنىً بغير الآخر ، ويتمثل ذلك فيما يلي :

أولاً : في أثناء تقريظه بين " الحمد " و " الشكر " جعل لأسلوب القرآن الكريم مرجعيةً وسلطاناً ؛ إذ هو الدليل على صحة ما ذهب إليه ؛ فهو الطراز الأول والنمط العالي من التعبير ، فقال عند ذكره قوله تعالى : { اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا } <sup>(٣)</sup> : ( ثم قد يتميز " الشكر " عن " الحمد " في أشياء ، فيكون الحمد ابتداءً بمعنى الثناء ، ولا يكون الشكر إلا على الجزاء ، تقول : " حمدتُ زيداً " إذا أثبتت عليه في أخلاقه ومذاهبه <sup>(٤)</sup> ، وإن لم يكن

(١) السابق ٣٠ .

(٢) قال ابن سيده : ( وقال اللحياني : الحمد : الشكر ، فلم يفرق بينهما ) المحكم والمحيط الأعظم ( ح م د ) .

(٣) سورة سبأ من الآية ١٣ .

(٤) وقد فرّق الراغب بين ( المدح ) و ( الحمد ) بأن ( المدح ) يشمل ما يكون في الإنسان من صفات اختيارية كالسخاء والعلم ، وصفات تسخيرية كطول القامة وطلاقة الوجه ، و ( الحمد ) إنما يتعلق بالصفات الاختيارية ، لذلك يقال : كلُّ حمدٍ مدحٌ وليس كل مدحٍ حمداً ؛ إذ من المدح ما يتعلق بالصفات التسخيرية ، ينظر : المفردات ١٧٢ ،

سبق إليك منه معروف ، و"شكرتُ زيداً" إذا أردتَ جزاءه على معروفٍ أسداه إليك (١) (٢) ، فالحمد ثناءٌ والشكرُ وفاةٌ ، ولذلك قيل : إنَّ الشكرَ يجري مجرى قضاء الدَّيْنِ (٣) .

وفي أسلوب القرآن الكريم الذي ساقه - رحمه الله - ما يؤكد ذلك ، حيث إنَّ الشكرَ المطلوبَ عمله من آل داود ، إنما يقابل النعم التي أسداها الله تعالى إليهم (٤) ، على ما يشير إليه قوله تعالى : { وَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أُوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ } إلى قوله تعالى : { وَقُدُورِ رَاسِيَاتٍ } (٥) ، قال العلامة جار الله ( رحمه الله ) : ( اعملوا لله واعبدوه على وجه

---

(١) هذا التعريف لـ (الشكر) أدق وأليق مما عرّفه به الراغب وهو الأنسب بما يضيفه عليه أسلوب الآية التي ذكرها الخطّابي ، قال الأصفهاني : ( الشكرُ : تصوُّرُ النعمة وإظهارها ) المفردات ٣٥٠ .

(٢) بيان إعجاز القرآن ٣٠ .

(٣) ينظر : الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ٤٩ ، وقد ذكر الزبيدي أوجهًا أخرى للتقريب بين الحمد والشكر ، ينظر : تاج العروس مادة ( ش ك ر ) .

(٤) وذلك مثل أمره تعالى الجبال أن تُرجع مع داود التسبيح فيسمع منها ما يسمع من المسبّح معجزةً له ، وجعله تعالى الحديد له ليُنأ كالطين والعجين والشمع ، فيصنع الدروع ، ويبيع الدرع بأربعة آلاف ، فينفق منها على نفسه وعياله ، ويتصدق على الفقراء ، ومن تسخير الريح لسليمان تجري في الغداة مسيرة شهر ، وفي العشي مسيرة شهر ، ومن إسالة معدن النحاس له ، ومن تسخير الجن له ، يعملون له ما يشاء من محارِبٍ وتماتيل وجفان كالحياض وقُدور ثابتات لا تُحرك ولا تُحوّل لعظْمهنّ ، يُنظر : الكشف ٥ / ١١٠ - ١١٢ ، قال الطاهر بن عاشور : ( لا تُنزل من فوق

أثافيها لتداول الطبخ فيها صباح مساءً ) التحرير والتبوير ٢٢ / ١٦٣ .

(٥) الآيات ١٠ - ١٣ من سورة سبأ .

الشكر لنعماؤه ( <sup>(١)</sup> ) ، فقد جعل العمل والعبادة لله : شكراً له - تعالى -  
يكافئ أنعمه الجليلة - جلّت قدرته - وهي متنوّعة ، فمنها ما خصّه الله  
به عن سائر خلقه ، ومنها ما عمّم به مع سائر خلقه ( <sup>(٢)</sup> ) .

وفي صحيح البخاري - باب قيام النبي ( ﷺ ) الليل قوله الشريف :  
( أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ ) قال ابن حجر : التقدير : أترك تهجدي فلا  
أكون عبداً شكوراً ؟ ( <sup>(٣)</sup> ) ، والشكر من الرسول ( ﷺ ) إنما هو مقابل لنعمة  
عظيمة هي غفران الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وإن كان ( ﷺ )  
شاكراً لربه على كل حال .

وقال أبو نُخَيْلة ( <sup>(٤)</sup> ) : [ من الطويل ]

شكرتك إنَّ الشكر حبلٌ من التقيِّ وما كلُّ مَنْ أوليته نعمةً يقضي  
( <sup>(٥)</sup> ) أي : ليس كل من أوليته نعمةً يشكرك عليها ( <sup>(٦)</sup> ) ، فجعل النعمة مستحقةً  
للسكر .

وهذا هو الفرق الأول من الفروق التي ذكرها الخطابي .  
وأما ثاني الفروق - التي ذكرها الإمام الخطابي بين ( الحمد  
والشكر ) - فهو قوله : ( قد يكون " الشكر " قولاً كالحمد ، ويكون فعلاً

(١) الكشاف ٥ / ١١٢ .

(٢) ينظر : تفسير الطبري ١٩ / ٢٣٥ .

(٣) صحيح البخاري - حديث رقم ١١٣٠ ، ينظر : فتح الباري ٣ / ١٤ ، ١٥ .

(٤) هو أبو نُخَيْلة بن حزن بن زائدة مات حوالي ١٤٥ هـ ، ينظر : خزائن الأدب  
للبيгдаي ١ / ١٦٥ ، والأعلام ٨ / ١٥ .

(٥) في دلائل الإعجاز ٤٨٤ .

(٦) المحكم والمحيط الأعظم ( شك ر ) .

كقوله - جلّ وعزّ - : { اَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا } (١) (٢) ، وهذا حقّ وله دليلٌ في أسلوب هذه الآية التي نُظمت عليه ، واختيارها " الشكر " على " الحمد " ، الأمر الذي يؤكد أنّ أسلوب ( الاختيار ) الذي سلكه القرآن الكريم من بين الألفاظ المترادفة يُعدُّ مظهرًا أسلوبيًا من مظاهر نظمته وبلاغته التي فاقت بلاغات البشر وإن علّت .

تقدير الآية - والله أعلم - : ( قلنا لآل داود : اعملوا عملا صالحا لشكر الله ) ، على أنّ انتصاب " شكرًا " على أنه مفعولٌ لأجله (٣) ، قال العلامة جار الله ( رحمه الله ) : ( أي : اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر لنعمائته ) (٤) ، فصرّح بأنّ " الشكر " من هؤلاء على هذه النعم عملاً صالحاً أمرُوا بأدائه والقيام به ، وعلى هذا فالحمد يكون قولاً - فقط - ، أما الشكر فهو قولٌ وفعلٌ - معاً - .

وثالث الفروق - التي ذكرها الخطّابي بين " الحمد " و " الشكر " ممّا جعل أسلوب الآية الكريمة التي نُظمت عليه دالًّا عليه - : أنّ ( الحمد يكون على المحبوب والمكروه ولا يكون " الشكر " إلا على المحبوب ) (٥) ، وهذا - أيضا - يفيد اختيار الآية " الشكر " وعدولها عن " الحمد " ، وذلك أنّ " الشكر " المأمور به هؤلاء إنما كان على أمور محبوبة ، ونعمٍ جليّةٍ مما صورته الآيات من قوله - تعالى - : { وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ .. } إلى قوله - تعالى - : { وَقُدُورِ رَاسِيَاتٍ } ،

(١) سورة سبأ من الآية ١٣ .

(٢) بيان إعجاز القرآن ٣٠ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ٢٢ / ١٦٣ .

(٤) الكشاف ٥ / ١١٢ .

(٥) بيان إعجاز القرآن ٣٠ .

قال ابن عربي ( رحمه الله ) : ( بما سخرنا لكم ما سخرنا ، وأفضنا عليكم من نعم الكمالات ما أفضنا ) (١) .

وإذا كان الخطابي ( رحمه الله ) قد جعل الآية الكريمة - كما مر - بأسلوبها الذي نظمت عليه دالة دلالة واضحة ومؤكدة على أن عنصر الاختيار من بين المترادفات التي يُظن أنها كذلك عند كثير من الناس مظهر أسلوبه شاهد ببلاغة القرآن الكريم ، في حُسن اختياره للمفردات ، ودقة استعماله لها ، فإنه قد جعل هذه الآية الكريمة أصلاً لهذه الفروق الثلاثة التي ذكرها .

لم يلجأ الخطابي إلى الاستدلال على ما جاء عليه أسلوب القرآن الكريم بما وضع الخلق من قواعد وقوانين ، ولكنه جعل القرآن الكريم هو الأصل ، وهو الذي يجب أن يُحتذى ، ثم قوانين اللغة وأصول أوضاعها التي نزل القرآن الكريم متحدياً أهلها شاهد على صحة ما رأى ، يقول الخطابي - رحمه الله - : ( وإذا أردت أن تتبين حقيقة الفرق بينهما : اعتبرت كل واحد منهما بضده ، وذلك أن ضده "الحميد" الذم ، وضد "الشكر" الكفران ) (٢) ، وبذلك يكون الخطابي معنياً بكل من " اللغة " و" الكلام " في عرف الدرس اللغوي الحديث .

---

(١) تفسير ابن عربي بهامش تفسير الخازن المعروف بـ ( لباب التأويل في معاني التنزيل ) ٣ / ٥٢٧ ط حسن حلمي الكنتي ومحمد حسن جمالي الحلبي ١٣١٠ هـ .  
(٢) بيان إعجاز القرآن ، ٣٠ ، قال الجوهري : ( الحمْدُ نقيض الذمِّ ) ( والشكران خلاف الكفران ) تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري مادتا ( ح م د ) و ( ش ك ر ) .

ونستطيع أن نقول باطمئنان ، وبدون تحيزٍ أو غمطٍ : إنَّ هذا التقسيم للغة الذي وُجد عند الخطابي والذي يُوصَل إلى نتاج أسلوبية من نوع الاختيار ، هو الذي ينسبونه إلى عالم اللغة السويسري ( فردينان ديسوسير ) ( ت ١٩١٣ م ) المؤسس للمدرسة الوصفية في العلوم اللغوية (١) !

على أنه يمكن أن يُضاف إلى ما يدعم الاختيار الأسلوبى للقرآن الكريم والذي ميّز به بين " الحمد " و " الشكر " على المستوى الصوتي - وإن كان المعنى هو المقصود - ما يوجد في اختيار مادة " الشكر " في آية سورة سبأ دون مادة " الحمد " من أنها أحسن تأليفاً بالحروف المتلائمة (٢) ، فالخروج من الدال المفتوحة في قوله - تعالى - : { اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ } إلى الشين المضمومة في قوله تعالى { شُكْرًا } أعدلُّ من الخروج إلى الحاء المفتوحة لو قال ( حَمْدًا ) بدل ( شُكْرًا ) ؛ لقرب مخرج الشين من مخرج الدال ، ويُعدّ وعمق مخرج الحاء .

وبذلك يكون الأسلوب القرآني - باختياره كلمة " شُكْرًا " في هذا التأليف ، والذي يناسبه هذا الاختيار - بل ويتطلّبُه - أسلوباً مُعجزاً ؛ إذ لا

---

(١) وقد قامت هذه المدرسة على اساس ما يمكن تسميته بالثنائية اللغوية ، وهي ثنائية تقسم النظام اللغوي إلى مستويين : مستوى " اللغة " (Language) ومستوى " الخطاب " (parole) ، ويشتمل المستوى الأول على قواعد البنية الأساسية للآنة ، بينما يمثل المستوى الثاني اللغة في حالة الاستخدام ، الأسلوبية لفتح الله سليمان ١٦ ، وينظر : الأسلوبية والخطاب الشعري ١٤ .

(٢) ينظر - في أوجه التفاوت التي توصل إليها الرّماني بين قوله تعالى { ولكم في القصاص حياة } وبين قول العرب ( القتل أنفى للقتل ) - النكت في إعجاز القرآن لعلي الرّماني ٧٧ ، ٧٨ .



يستقيم لأحد من البشر مثل ذلك في كلام مفيد ، فهو القمة في الفصاحة  
التي منها حسن الاختيار للكلمات التي تؤدي دوراً لا تؤديه كلمات سواها ،  
بالإضافة إلى تحقيق السهولة في النطق والحلاوة في السمع .

## النموذج الثاني

### الشَّحُّ والبُخْلُ

في إطار رصده لظاهرة " الاختيار " من بين المترادفات التي يُظنُّ أنها مترادفة ، يُفرِّقُ الإمام الخطَّابي - رحمه الله - بين ( الشَّحُّ ) و ( البُخْلُ ) ، فيرى أنَّهما متقاربان في المعنى لا أنَّهما مترادفان ، وأنَّ لكلِّ منهما خصوصية تميِّزه عن الآخر ، وأنَّ القرآن الكريم لم يختَر إحداهما جُزْأً ، بل إنَّ التي اختارها تُؤدِّي معنًى دقيقاً لا تُؤدِّيه اللفظة الأخرى ، وهذا المعنى هو المراد في هذا المقام .

ونذكر تفريقَ بعضهم بينهما بقوله : ( قد زعم بعضهم أن "

البخل " منعُ الحقِّ ، وهو ظلمٌ ، و" الشَّحُّ " ما يجده الشَّحيح في نفسه من الحرَّازة (١) عند أداء الحقِّ وإخراجه من يده ) (٢) .

وهذا الزعم يُفرِّق بين " البخل " و " الشَّحُّ " ، فالبخلُّ عليه : منعُ

الحقِّ ، وأمَّا " الشَّحُّ " : فهو ذلك الألم النفسي ، والحالة العصبية التي

تعرض لصاحبها في حال أداء تلك الحقوق ذات المصارف المعلومة ،

وهذا الزعم لا يبعد عنه ما قاله العلَّامة جار الله الزمخشري ( ت ٥٣٨ )

في أثناء حديثه عن قوله تعالى : { وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ

(١) قال في المحكم : ( والحرَّازةُ والحرَّازُ والحرَّازُ : وَجَعٌ في القلبِ مِنْ

حَزْنٍ أَوْ خَوْفٍ ) المحكم والمحيط الأعظم مادة ( ح ز ز ) .

(٢) بيان إعجاز القرآن ٣٠ .

الْمُفْلِحُونَ } (١) قال : ( الشَّحَّ - بالضَّمِّ والكسر ، وقد قُرئَ بهما - : اللُّؤْمُ ، وأن تكون نفسُ الرجلِ كَزَّةً (٢) حريصةً على المنع ، كما قال من الطويل :  
يُمَارِسُ نَفْسًا بَيْنَ جَنْبِيهِ كَزَّةً إِذَا هُمَّ بِالْمَعْرُوفِ قَالَتْ لَهُ مَهْلًا  
... ، وَأَمَّا الْبُخْلُ : فهو المنعُ نفسه ، ومنه قوله تعالى { وَأَخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ  
الشَّحَّ } (٣) ، وقوله جل شأنه : { وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ } (٤) .  
فمع أن الزمخشري قد فرَّق بين ( الشَّحَّ والبخل ) بأنَّ " البخل " هو : المنع ، وأنَّ " الشَّحَّ " هو : الحرص الذي يصحب المنع ، فإنه قد جعل " الشَّحَّ " - بجانب هذا الحرص - يعني : اللُّؤْمُ ، و( اللئيمُ السنيءُ الأصيلُ الشحيحُ النفس ) (٥) ، فقد فسَّرَ " الشَّحَّ " بأمرين هما : اللُّؤْمُ ، والحرص على المنع ، واللُّؤْمُ يجمع - في اللغة - بين ( الشَّحَّ ، ومهانة النفس ، ودناءة الآباء ) ، ولعلَّ هذا هو السبب في عدم تعرض العلامة الزمخشري لمعنى " اللُّؤْمُ " في معجمه (٦) .

(١) سورة الحشر من الآية ٩ .

(٢) قال الزمخشري : ( ورجلٌ كَزٌّ وكَزُّ اليدين : شَحِيحٌ قليلُ المواتاة ) ، أساس البلاغة للزمخشري ، مادة ( ك ز ز ) ت : محمد باسل عيون السود - ط : الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

(٣) سورة النساء من الآية ١٢٨ .

(٤) الكشاف ٦ / ٨١ ، ٨٢ ، وينظر : تفسير الخازن ٤ / ٢٤٦ .

(٥) تاج اللغة وصحاح العربية - مادة ( ل أ م ) ، وجاء في تاج العروس : أن اللُّؤْمُ : أن يجتمع في الإنسان الشَّحُّ ومهانة النفس ودناءة الآباء ، وهو من أذم ما يُهْجَى به . مادة ( ل أ م ) .

(٦) ينظر أساس البلاغة مادة ( ل أ م ) .

والذي يعنينا أولاً في هذا المقام ما قاله في الكشف حيث جعل  
"البخل" منعاً للعطاء ، وجعل "الشَّحَّ" بمعنى "اللُّؤْمُ" و"الحرص على  
المنع" .

ولم يكن العلامة - في هذا التفريق بين هذين الاسمين - يدعاً من  
علماء اللغة وأصحاب المعاجم ، فقد سبقه إلى ذلك كثيرٌ منهم ، فهذا هو ذا  
ابن فارس ( ت ٣٩٥ هـ ) يقول : ( الشَّيْنُ والحَاءُ ، الأصل فيه المنع ،  
ثم يكون منعاً مع حرص ، من ذلك "الشُّحُّ" ، وهو البخل مع حرص .. )  
(١) ، وسار على هذا المنوال جمعٌ من أصحاب المعاجم اللغوية (٢) ، وكذلك  
الراغب الأصفهاني ( ٥٠٢ هـ ) في المفردات (٣) .

ولم يقف الأمر عند أصحاب المعاجم على هذا التفسير اللُّغويّ  
لكلتا المادتين ، والتفريق بينهما بهذا التفريق ، بل جعلوا من "الشَّحِّ" بهذا  
المعنى قوله تعالى : { وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ } ، وقوله تعالى : { وَمَنْ  
يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ } (٤) ، ووافقهم في ذلك العلامة جار الله في الكشف .  
وإذا كان "الشَّحُّ" بمعنى : ( الحرص مع المنع ) مقبولاً في آية  
النساء ، فإنه ليس بمقبولٍ في آية الحشر ؛ ذلك أن المعنى في النساء :

---

(١) معجم مقاييس اللغة مادة ( ش ح ح ) ، وينظر : مجمل اللغة لابن فارس ( المادة  
نفسها ) .

(٢) ينظر : المحيط في اللغة ( الحاء والشين ) ، و: تاج اللغة وصحاح العربية مادة ( ش ح ح ) ، والمحكم والمحيط الأعظم ، ومختار الصحاح ، والقاموس المحيط ( المادة  
نفسها ) ، وتبع الزبيدي صاحب القاموس ، وزاد : ( وقيل هو أشدُّ البخل ، وهو أبلغ  
في المنع من البخل ) .

(٣) ينظر : المفردات في غريب القرآن مادة ( ش ح ح ) .

(٤) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم ، ومعجم مقاييس اللغة مادة ( ش ح ح ) .

وأحضرت أنفس النساء الشح على أنصباتهن من أنفس أزواجهن وأموالهن ، أو المعنى : وأحضرت أنفس كل واحد من الرجل والمرأة الشح بحقه قبل صاحبه (١) ، فالشح هنا إنما هو بما يملك زمامه كل منهما ، وهو في حوزته .

أما في سورة الحشر فإن النظم القرآني قد فرض نمطاً من الأسلوب لا يناسبه تفسير "الشح" بـ(الحرص على المنع) ، وأن المنع هو المتعلق بالبذل والعطاء ؛ إذ ما أخذ المهاجرون (رضي الله عنهم) من الفئء لم يكن ملكاً للأنصار (رضي الله عنهم) ، بل هو حق لهم ، جعله الله تعالى لهم في قوله الحكيم : { لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَتَّسِرُونَ لِلَّهِ وَرَسُولَهُ أَوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } (٢) ، فلم يمدح الأنصار في هذا الموضع بـ(عدم الشح) ، ويكون "الشح" بمعنى (الحرص مع المنع) ، ولا هذا مما يفيد أسلوب الآيات في هذا السياق .

وبيان ذلك : أن الآيات قد بينت أن ما أفاء الله به على نبيه (ﷺ) من بني النضير لم يقطع الصحابة (رضي الله عنهم) في سبيله شقة بعيدة ، ولا لاقوا مشقة شديدة ولا قتالاً شديداً { وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ } (٣) من أعدائهم ، وقد سلط الرسول (ﷺ) على هؤلاء تسليطاً غير معتاد (٤) { وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (٥) .

(١) الوجهان ذكرهما ابن جرير الطبري ينظر : تفسير الطبري ٩ / ٢٧٩ ، ٢٨١ .

(٢) سورة الحشر الآية ٨ .

(٣) سورة الحشر من الآية ٦ .

(٤) ينظر : تفسير أبي السعود ٥ / ٣٠٢ .

(٥) سورة الحشر من الآية ٦ .

ثم بيّنت الآيات الكريمات مصارف الفيء وهي { لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ  
وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ } (١) ؛ حتى لا يتداوله  
الأغنياء ويترك الفقراء ، ثم أردفت ذلك بالأمر الواجب باتِّباع منهج النبي  
(ﷺ) ، ومن منهجه إعطاء فيء " بني النضير " المهاجرين الذين أُخرجوا  
من ديارهم وأموالهم ناصرين الله ورسوله (٢) .

وبعد أن بيّن النظم القرآني بيان مصارف هذا الفيء ، أُبدل (٣)  
منها المجرور في قوله تعالى ( لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ ..... ) (٤) ، ولما  
كان البدل هو المقصود بما نسب إلى المتبوع دونه (٥) ، كان هؤلاء الفقراء  
المهاجرون هم المقصودين بهذا الفيء بهم دون غيرهم .

ومما يدعّم وجه إبدال ( الْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ ) من ( ذِي الْقُرْبَى )  
وما بعده (٦) : أن عطف ( الكلام عن الأنصار ) على ( الكلام عن هؤلاء

(١) سورة الحشر من الآية ٧ .

(٢) لم يُعط (ﷺ) أحدًا من الأنصار من هذا الفيء إلا ثلاثة هم : أبو دُجَانَةَ ( سِمَاك  
بن خَرْشَةَ ) ، وسَهْل بن حَنَيْف ، والحارث بن الصَّمَّة ، ينظر : تفسير البغوي ٧٢ / ٨ ،  
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠ / ٣٤٦ .

(٣) ينظر فيمن قال بالبدلية : الكشاف ٦ / ٧٩ ، وتفسير الفخر الرازي ٢٩ /  
٢٨٧ ، و : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥ / ٢٠٠ ، و : تفسير أبي السعود ٥ / ٣٠٣ ،  
و : التحرير والتنوير ٢٨ / ٨٧ .

(٤) سورة الحشر من الآية ٨ .

(٥) ينظر : شرح الرضي على الكافية ٢ / ٣٧٩ .

(٦) في الكشاف : ( والذي منع الإبدال من " لله والرسول والمعطوف عليهما " - وإن  
كان المعنى لرسول الله (ﷺ) - : أن الله عز وجل أخرج رسوله من الفقراء في قوله :  
{ وينصرون الله ورسوله } ( الحشر ٨ ) ، وأنه يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير ،

للاستئناف<sup>(١)</sup> ، فبعد أن بيّنت الآية السابقة اختصاصَ فيء " بني النضير " بالمهاجرين ، استؤنّف الكلام في مدح الأنصار والثناء عليهم بقوله جلّت حكمته : { وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (٢) .

والاستئنافُ في هذه الآية يُعَيِّنُ أن الفيء الذي اختصَّ به المهاجرون ما كان عطاءً من الأنصار ، وإنما هو من الله ، وعلى ذلك فليس بمستساغ في أسلوب الآيات ولا في سياقها أن يكون ( الشح ) هنا بمعنى ( الحرص مع المنع ) ، أو بمعنى ما يجده الشحيح في نفسه من الحزازة عند أداء الحق وإخراجه من يده كما مرّ .

وهذا قد توصل إليه الخطابي المُحدّث فقال : ( .. وقد وجدتُ هذا المعنى على العكس مما روي عن ابن مسعود ، حدّثنا أحمد بن إبراهيم ... عن أبي الشعثاء قال : قلتُ لعبد الله بن مسعود : يا أبا عبد الرحمن إنني أخاف أن أكون قد هلكتُ ، قال : ولمَ ذلك ؟ ، قلتُ : لأني سمعتُ الله يقول : { وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } وأنا رجلٌ شحيحٌ لا يكاد يخرج من يدي شيءٌ ، قال : ليس ذلك الشح الذي ذكره الله في القرآن

وأنّ الإبدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله عز وجلّ ( الكشاف ٦ / ٧٩ ، ٨٠ ، وينظر : تفسير الرازي ٢٩ / ٢٨٧ ، والبيضاوي ٥ / ٢٠٠ .

(١) قال الرازي : ( ثم إنه تعالى ذكر الأنصار وأتى عليهم ) مفاتيح الغيب ٢٩ / ٢٨٧ ، وهذا القول يُؤخَذُ منه أنه - رحمه الله - يرى أنه عطف استئناف ، وممن صرح بذلك كلُّ من القرطبي وأبو السعود ، الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٣٥٩ ، وتفسير أبي السعود ٥ / ٣٠٣ .

(٢) سورة الحشر من الآية ٩ .

، ولكن الشح : أن تأكل مال أخيك ظلماً ، ولكن ذاك البخل ، وبئس الشيء البخل ( ١ ) .

وبذلك يكون حسن استعمال القرآن الكريم لاسم ( الشح ) وإلباسه معنى غير المشهور له عند كثير من الناس - قد أيد القائلين بأنه ليس مرادفاً للبخل ( ٢ ) ، ولا أنه بمعنى الحرص مع المنع ، ولا أنه الحالة النفسية التي يجدها الشحيح عند عطائه .

وعلى هذا يمكننا أن نقول : إن القرآن الكريم قد صور النظر والطمع والجنوح إلى ما أخذه المهاجرون من هذا الفيء ، في صورة من يريد أن يأكل مال أخيه ظلماً ، والأنصار - حاشا لله أن يكونوا كذلك - لو كانوا قد أرادوا شيئاً منه لكانوا أشحّة ، حكمهم حكم من يريد أن يأكل مال أخيه ظلماً كما رأى الخطابي - رحمه الله - فيما نقله من نص ابن مسعود ( ٣ ) .

وهذا يتحقق بحمل كلام ابن مسعود على حذف مضاف ( ٣ ) ، فيكون معنى " الشح " : ما يجده الإنسان في نفسه من نزوع إلى أكل أموال الناس بالباطل ، وهذا المعنى غير الذي في آية التغابن { وَمَنْ يُوقِ شِحْحَ

---

( ١ ) بيان إعجاز القرآن ٣٠ ، ٣١ ، وعبد الله بن مسعود من أكابر الصحابة مات سنة ٣٢ هـ ، ينظر : الإصابة في تمييز الصحابة ٦ / ٢١٤ رقم ٤٩٤٥ .  
( ٢ ) قال الخليل : ( والشح : البخل ، وهو الحرص ) مادة ( ش ح ح ) ، وينظر فيمن قال بالترادف بينهما بعد الخليل : مفاتيح الغيب ١١ / ٦٨ ، والقرطبي ٢٠ / ٣٦٩ ، والتحرير والتنوير ٤ / ١٨٢ عند الآية ١٨٠ من سورة آل عمران ، ٥ / ٢١٧ عند الآية ١٢٨ من سورة النساء .

( ٣ ) نص عبارته : ( الشح : أن تأكل مال أخيك ظلماً ) بيان إعجاز القرآن ٣١ .



نَفْسِهِ { (١) ، فقد اسْتَعْمَلَ " الشح " بعد الأمر بالإففاق ، فدل على أنه يعني النزوع إلى الحرص ومنع حق الفقراء في مال الشحيح ، قال تعالى : { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِنَفْسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شِحْهُ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُقْلِحُونَ } ، وهذا يدل على أن الشح يؤدي هذين المعنيين كلًا في أسلوبه الذي يوجب ، وهو بذلك أعم وأنكى من البخل .

وهناك من الأدلة القوية ما يؤيد أن يكون معنى " الشح " في مثل هذا السياق الذي في آية ( الحشر ) كما نقل الخطابي " المحدث " عن ابن مسعود (رضي الله عنه) في قوله : ( ولكن الشح : أن تأكل مال أخيك ظلما ) ، منها :

١ - عندما خيّر النبي (ﷺ) الأنصار في قوله الكريم : ( إن شئتم قسّمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم ، وتشاركونهم في هذه الغنيمة ، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة ) قالت الأنصار : ( بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ، ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها ) (٢) .

٢ - قول ابن عمر (رضي الله عنه) : ( ليس الشح أن يمنع الرجل ماله ، إنما الشح أن تطمح عين الرجل إلى ما ليس له ) (٣) .

٣ - قول الرسول (ﷺ) : ( اتقوا الظلم فإن الظلم ظلّات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا

(١) سورة التغابن من الآية ١٦ .

(٢) ينظر : تفسير البغوي ٨ / ٧٧ ، والخازن ٤ / ٢٤٦ .

(٣) السابقان .

دماءهم واستحلوا محارمهم) (١) ، و" الشُّحُّ " - الذي معناه : البخلُ ، أو : اللُّؤْمُ وكَزَاوَةُ النَّفْسِ وَحِرْصُهَا عَلَى الْمَنَعِ ، أو : الحَالَةُ النَّفْسِيَّةُ عِنْدَ الإِعْطَاءِ - لا يُحْمَلُ عَلَى مَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ " الشُّحُّ " فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ ، أَمَّا " الشُّحُّ " الَّذِي بِمَعْنَى أَكْلِ أَمْوَالِ الْآخَرِينَ ظَلْمًا ، فَهُوَ الْمَقْصُودُ هُنَا .

نخلص من ذلك إلى أن الخطابى - رحمه الله - وهو يبحث في وجوه إعجاز القرآن الكريم لم يقف عند إنكار " الترادف " في مفردات اللغة فحسب ، بل اختار من بين معاني " الشُّحُّ " معنى جعل المرجعية في اختياره إلى سياق الآية التي جاء فيها ، وكذلك الآيات التي تكتنفها ، وهو بذلك يجعل ( الاختيار ) من سلطة الأسلوب الذي جاءت عليه آيات السياق ، وهو الذي يفرض على اللفظ معنى ، ويكسبه وظيفة قد لا يكون أداها في أسلوب من قبل .

وقد أعان الخطابى على ذلك استعانتُه بأقوال وآراء أقرب الناس إلى من أنزل عليه النص المعجز (ﷺ) ، وأقدرهم على فهم الأسلوب الذي نظمت عليه آيات القول المعجز .

ومن هنا كان عنصر ( الاختيار ) للكلمة المفردة في القرآن الكريم ، اختياراً يتناسب مع تركيب الآية وتأليفها ، بالإضافة إلى توظيفها لأداء دور في التعبير لم يكن لها أن تؤديه من قبل : مظهرًا من مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم ، وأن هذا المظهر الأسلوبى خاص بهذا النمط المعجز ، ولا يتأتى لأحد من المخلوقين الإتيان بمثله ولو اجتمعوا له .

---

(١) رواه مسلم عن جابر بن عبد الله ، ينظر : صحيح مسلم بشرح النووي / ١٦

## النموذج الثالث

### نَعَمْ وَبَلَى

في مضممار التفريق بين الألفاظ التي يحسب أكثر الناس أنها متساوية في المعنى وفي إفادة بيان مراد الخطاب ، ينفي الخطابي - رحمه الله - أن ( نَعَمْ ) تحل - في الجواب - محل ( بَلَى ) والعكس ، وهو بذلك يقرّر قاعدة أسلوبية هي : الاختيار الدقيق للألفاظ من بين ما يُظن أنه يرادفها ، وحسن توظيفها في مقامها حتى تُؤدّي دورها في النسق الأسلوبي للقرآن الكريم .

قال الخطابي : ( وأما قولك " بَلَى وَنَعَمْ " فإن " بَلَى " جوابٌ عن الاستفهام بحرف النفي كقول القائل : ألم تفعل كذا ؟ فيقول صاحبه : بَلَى ، كقوله عزّ وجلّ : { أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى } (١) ، وأما " نَعَمْ " فهو جوابٌ عن الاستفهام نحو " هل " كقوله تعالى : { فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ } (٢) (٣) .

(١) سورة الأعراف من الآية ١٧٢ ، روى الطبري عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله (ﷺ) - يعني : عند هذه الآية - : ( أخذوا من ظهره كما يُؤخذ بالمشط من الرأس ، فقال لهم : " ألسنت بربكم قالوا بلى " قالت الملائكة : " شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ) تفسير الطبري ١٣ / ٢٣٢ .

(٢) سورة الأعراف من الآية ٤٤ ، أي ما وعد ربكم على السنة رسله على الكفر به وعلى معاصيه من العقاب ؟ فأجابوهم بأن نعم قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا . السابق ١٢ / ٤٤٥ ، ٤٤٦ .

(٣) بيان إعجاز القرآن ٣١ .

هذا النص يُشير إلى تخصيص "بلى" بالاستعمال مع الاستفهام المنفي ، وذلك لأنه لما كانت "بلى" بمعنى "بل" التي للإضراب ، ووصلت بها ألفٌ تدلّ على كلامٍ (١) ، فإنّ التقدير في قوله تعالى { أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى } - والله أعلم - : قالوا بل أنت ربنا (٢) ، فقد أُضربتْ "بلى" عن النفي وأثبتت الإيجاب (٣) .

ولذلك لا يصح في أسلوبٍ مُوجبٍ أن يُجاب عنه بـ "بلى" ، كيف وأصلُ استعمالها ردٌّ للنفي ، قال السهيلي (ت ٥٨١ هـ) : ( فمن أجل ذلك لا تقع أبدًا إلا إضرابًا عن نفي ، ومن أُضرب عن النفي فقد أراد الإيجاب ) (٤) .

والخاصية الأسلوبية العامة لـ "بلى" التي ينبغي التنبيه لها أنّ معنى كونها لا تستعمل إلا في جواب نفي إنما هو خاصٌّ بما إذا كان المراد بها الإيجاب ، فمن قيل له : " لم تُضرب زيدًا " وأراد أن يجيب بما يفيد أنه ضربه - أي بالإيجاب وليس النفي - فإنه يقول : بلى ، بمعنى : ضربه ، أمّا إذا قيل له : ضربت زيدًا ، وأراد أن يجيب بما يفيد أنه لم

(١) هكذا رأى ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) في الصحاحي ، ورأى السهيلي أنّ "بلى" عبارة عن "بل" التي للإضراب ، و"لا" التي للنفي ، ينظر : لابن فارس ١٤٨ ، وأمالى السهيلي ٤٤ ، ٤٥ ، وقد نفى المرادي (٧٤٩ هـ) كلا الرأيين ، فهي عنده حرفٌ ثلاثيّ الوضع ، والألف من أصلها . ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني للحسن بن قاسم المرادي ٤٢٠ .

(٢) ينظر : الصحاحي ١٤٨ ، ١٤٩ ، وقال ابن سيده : ( " نَعَمْ وَنَعَمْ " كقولك " بلى " إلا أنّ " نَعَمْ " في جواب الواجب ) المحكم والمحيط الأعظم مادة ( ن ع م ) .

(٣) ينظر : الصحاحي ١٤٩ .

(٤) أمالى السهيلي ٤٥ .

يضره ، فإنه يقول : " بلى " ، والمعنى حينئذ : لم أضربه ، لذلك قيل :  
" بلى " تنفي الموجب قبلها وتوجب المنفي أيضا (١) .

أما " نعم " فهي لتصديق المخبر في الإيجاب والنفي (٢) ، فلو قيل :  
ليس لك عندي وديعة ، فقيل في جوابه : " نَعَمْ " كان تصديقا له ، أي :  
بعدم وجودها ، ولو قيل : لك عندي وديعة ، وقيل في جوابه : " نَعَمْ " كان  
تصديقا له بوجودها ، فهي للتصديق فحسب (٣) .

ولما كانت " نَعَمْ " للتصديق فحسب ، كان جائزا في الاختيار أن  
يُجاب عن قوله تعالى : { أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ } بـ " نَعَمْ " ، لكن ذلك مقيّد بما  
إذا كان مراد المجيب نفي الربوبية عنه ( تعالى ربنا وتقدس ) ، فهم ( لو  
قالوا : " نَعَمْ " لَصَدَّقُوا النفي فكفروا ) (٤) ، أما وأن مراد الأسلوب القرآني  
الإخبار عن نرية آدم أنهم أرادوا إثبات الربوبية له سبحانه ، فإن اختيار  
" بلى " في نظم هذه الآية لواجب ؛ فهي موضوعة للإضراب ، وقد سبقها  
نفي ، فإنها حينئذ للإضراب عن ذلك النفي ، والإضراب عن النفي إثبات  
للإيجاب ، فهذا الاختيار لـ " بلى " دقيق واستعماله واجب .

والذي يعنينا في هذا المقام أن الخاصية الأسلوبية لـ " بلى " تغاير  
الخاصية الأسلوبية لـ " نَعَمْ " ، فاختيار أحدهما دون الآخر إنما هو لأداء  
معنى خاص به لا يؤديه الآخر ، فلو أن أحدهما استعمل في أسلوب يتطلب

(١) ينظر : رصف المباني ٤٢٦ .

(٢) الجنى الداني ٤٢٢ ، وقال ابن هشام : ( " نَعَمْ " تصديق للخبر بنفي أو إيجاب ) ،  
معنى اللبيب ١٩٤ / ٢ .

(٣) ينظر : الجنى الداني ٤٢٢ .

(٤) ينظر : رصف المباني ٤٢٦ ، وهذا هو الذي حكاه الخطابي عن الفراء ، ينظر :  
بيان إعجاز القرآن ٣٢ .

الآخر لفسد المعنى ؛ لأنه سيؤدي غرضاً غير الذي يريده صاحب الخطاب منه .

ولا يُحتجُّ بما ورد ممّا ظاهره أن أحد حرفي الجواب يحل محل الآخر ، فلا فرق بينهما في الدلالة ، فقد قيل في بيتي جَحْدَرِ الْعُكْلِيِّ (١) :  
أليسَ الليلُ يجمعُ أمَّ عمرو وإيانا فذاك بنا تداني [ من الوافر ]  
نَعَمَ وترى الهلالَ كما أراه ويعطوها النهارُ كما علاني  
إنه قد أجاب بـ"نَعَمَ" بعد الاستفهام من النفي (٢) ، وهذا الموضع إنما يتطلب أن يكون الجواب بـ"بَلَى" ، وهذا يتعارض مع ما رُوِيَ عن ابن عباس (رضي الله عنه) في قوله تعالى : { أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ } من أنهم لو قالوا : " نَعَمَ " لصدّقوا النفي فكفروا .

إن ذلك وغيره مما ورد من فصيح الكلام لا تعارض بينه وبين قول ابن عباس (رضي الله عنه) ؛ إذ ليس المراد بـ"نَعَمَ" هنا التصديق للكلام المنفي المستفهم عنه ، وإنما هي لتحقيق الإيجاب الذي في نفس الشاعر الذي لا خلاف في أنه يقصد أن الليل يجمعه وأمَّ عمرو ، فلما قال : " نَعَمَ " فقد صدق الخبرَ المثبتَ المؤولَ به الاستفهامَ مع النفي (٣) .

---

(١) شاعر من أهل اليمامة حبس أيام الحجاج ، مات حوالي سنة ١٠٠ هـ الأعلام ٢ / ١١٣ ، وينظر : خزنة الأدب للبغدادي ٧ / ٤٦١ ، ١١ / ٢٠١ .

(٢) ينظر : أمالي السهيلي ٤٥ ، وقد نسب المرادي لابن مالك أن ( بَلَى ) قد توافقت "نَعَمَ" بعد النفي المقرون بالاستفهام كقول جَحْدَرِ ، وذكر البيهقي ، ينظر : الجنى الداني ٤٢٢ ، ٤٢٣ .

(٣) ينظر : أمالي السهيلي ٤٥ ، وشرح الرضي على الكافية ٤ / ٤٢٧ ، ولكل من المالقي والمرادي تحريج لهذا الشعر ينفي أن يكون أحد الحرفين حالاً محللاً الآخر ، ينظر : رصف المباني ٤٢٧ ، والجنى الداني ٤٢٣ ، وكذلك ما ورد من نصوص يدل

ومع هذا التخريج الذي ينفي توارده حرفي الجواب "نَعَمْ" و "بَلَى" على معنى واحد ، فإن أكثر العرب يرون أنّ مراعاة اللفظ في هذا الموضع أولى ؛ لأنه الظاهر المسموع ، وبه نطق القرآن الكريم كقوله تعالى : { أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى } (١) ، فضلا عما ورد من رواية استعمال "بَلَى" بدلا من "نَعَمْ" (٢) .

وبذلك يكون ما قاله الخطّابي في هذا الموضع مشيراً إلى عدة أمور منها :

- أنّ النظم القرآني قد يقتضي التعبير بأحد حرفي الجواب المتقاربان في المعنى دون الآخر بحسب ما يقتضيه من نظم للمعاني .
- وأن لكل أسلوب منهما دلالة تختصّ به لا يشاركه فيها أسلوب آخر سواه ، وإن كانا متقاربي الدلالة أو يلتقيان في معنى واحد .
- وأن القرآن الكريم قد بلغ الغاية في دقة اختيار مثل هذه المفردات ، وتوظيفها أحسن التوظيف ، وهذا ما يدفع إلى القول بأنّ هذه السمة الأسلوبية تعدّ مظهراً من مظاهر الإعجاز القرآني .

---

ظاهرهما على أنّ "بَلَى" تحل محلّ "نَعَمْ" ، فإنه مُخْرَجُ بَأَنَّهُ قَلِيلٌ فَلَا يَتَخَرَّجُ مَا عَلَيْهِ التَّنْزِيلُ ، ينظر : مغني اللبيب ٢ / ١٩٨ .

(١) ينظر : أمالي السهيلي ٤٦ .

(٢) ينظر : خزانة الأدب للبغدادي ١١ / ٢٠٦ .

## النموذج الرابع

### التعدي بـ ( في ) و ( عن )

في إطار نفيه الترادف قرّر الخطّابي - رحمه الله - ، أن لكلّ حرفٍ دلالةً ، لا يؤديها حرفٌ غيره ولو تقاربا في المعنى ، ويمكن توزيع عمل الخطّابي في هذا الموضوع إلى ثلاثة محاور :

الأول : ما رواه بسنده أن رجلاً قال : ( يا أبا العالية <sup>(١)</sup> : قول الله تعالى في كتابه { فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ \* الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ } <sup>(٢)</sup> ، ما هذا السهو ؟ قال : الذي لا يدري عن كم يتصرف ، عن شفع أو عن وتر ) <sup>(٣)</sup> .

الثاني : ما ذكره من ردّ الحسن البصري <sup>(٤)</sup> هذا الجواب :

---

(١) هو : رفيع بن مهران ، الإمام المقرئ ، الحافظ المفسر ، أبو العالية الرياحي ، أحد أعلام التابعين ، تصدر لإفتاء العلم وبتدّ صيته ، وقرأ عليه أبو عمرو بن العلاء فيما قيل ، قال عنه ابن سعد في الطبقات : ( كان ثقة كثير الحديث ) مات سنة ٩٠ أو ٩٣ هـ ، ينظر في ترجمته : كتاب الطبقات الكبير ٩ / ١١١ - ١١٦ رقم ٣٨١٨ - وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الجزري ٦٣٠ هـ - ٢ / ٢٩١ - رقم ١٧٠٤ ، وسير أعلام النبلاء ٤ / ٢٠٥ - ٢١٣ رقم ٨٥ .

(٢) سورة الماعون الأيتان ٤ ، ٥ .

(٣) بيان إعجاز القرآن ٣٢ .

(٤) هو الحسن بن أبي الحسن ، واسم أبي الحسن : يسار ، كان من سادات التابعين وكبرائهم ، وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة ، قال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح من الحسن البصري والحجاج ، والحسن أفصح ، ينظر : كتاب الطبقات الكبير لابن سعد الزهري ٩ / ١٥٧ - ١٧٨ رقم ٣٨٨٣ ، و : وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ / ٦٩ - ٧٣ رقم ١٥٦ .



قال : ( فقال الحسنُ : مَهْ (١) يا أبا العالية ، ليس هذا ، بل الذين سهوا عن ميقاتهم حتى تفوتهم ، قال الحسن : ألا ترى قوله عز وجل { عَنْ صَلَاتِهِمْ } (٢) .

الثالث : رأيُه في ذلك :

قال الخطابي : ( قلتُ : وإنما أتيتُ أبو العالية في هذا حيث لم يفرق بين حرف ( عن ) و ( في ) ، فتنبّه له الحسنُ فقال : ألا ترى قوله : { عَنْ صَلَاتِهِمْ } ، يؤيدُ أنّ السهو الذي هو الغلط في العدد إنما هو يعرض في الصلاة بعد ملابتها ، ولو كان هو المراد ل قيل "قي صلواتهم ساهون" ، فلما قال : { عَنْ صَلَاتِهِمْ } دلّ على أنّ المراد به الذهاب عن الوقت ) (٣) .

أما عن الأول : ففيه إشارة إلى أمرين هما :

- أنّ من السلف من جهل مراد الله عز وجل من هذه الآية وسأل عنه ، وقد روى الطبري سؤال سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) { الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ } (٤) .

- كما أنه صريح في أنّ من السلف من ظن أنّ السهو المذكور في الآية إنما هو سهو ( في ) الصلاة ، بمعنى أنه لا يدري عن كم ينصرف ، أو غير ذلك من صنوف السهو ، ومن رأى ذلك فهو

(١) كلمة زجر .

(٢) بيان إعجاز القرآن ٣٢ .

(٣) بيان إعجاز القرآن ٣٣ .

(٤) تفسير الطبري ٢٤ / ٦٦٣ ، وينظر مثل هذا السؤال لغير النبي (ﷺ) في ٢٤ /

لا محالة حاكمٌ بأنّ " عن " في الآية بمعنى " في " ، فهما مترادفتان .

ولقد جاء عن بعض النحاة أنّ حرف الجرّ " عن " يأتي في فصيح الكلام بمعنى "في" ، كما في قول الأعشى الكبير (١) :

وَأَسِ سِرَاةَ الْحَيِّ حَيْثُ لَقَيْتَهُمْ وَلَا تَكُ عَنْ حَمْلِ الرَّبَاعَةِ وَأَنْبِيَا (٢)

المعنى : في حمل الربّاعة ، وقد ذكر ابن هشام أنّ من معاني ( عن ) : الظرفية ، ومثّل لها بهذا البيت ، ثم قال : ( قيل : لأنّ "وتى" لا يتعدّى إلا بـ"في" ، بدليل { وَكَا تَنْبِيَا فِي ذِكْرِي } (٣) ) (٤) ، وهذا القول يؤيد أنها في بيت الأعشى بمعنى " في " ، وهو يُعدُّ حُجَّةً لِقَوْلِ أَبِي الْعَالِيَةِ السَّابِقِ وَغَيْرِهِ مِمَّنْ فَهَمُوا أَنَّ السَّهْوَ الْمَذْكُورَ فِي الْآيَةِ إِنَّمَا هُوَ فِيهَا .

وأما عن الثاني : فقد نفى فيه الحسنُ البصريُّ الذي لم يرَ أبو عمرو بن العلاء أفصحَ منه ، أن يكون المرادُ السهوَ في أثناء الصلاة مُتَابِعًا بِهَا ، بل مرادُ رَبِّ الْعِزَّةِ إِنَّمَا هُوَ السَّهْوُ عَنْهَا بِالْكَلْبَةِ ،

---

(١) هو : ميمون بن قيس بن جندل ، كنيته أبو بصير ، من فحول شعراء الجاهلية ، كانوا يسمونه صنّاجة العرب لجودة شعره ، ينظر خزانة الأدب للبغدادي ١ / ١٧٥ ، والأعلام ٧ / ٤٣١ .

(٢) من الطويل ، والسّراة : جمع سريّ ( كخنيّ ) وهو الشريف والسيد ، أسهم : أي عاونهم ، يقصد المشاركة بالمال في المغارم ، الربّاعة : الديةُ يحتملها سيّدُ القوم من ديات القتلى والمغارم ، ثم يسعى في جمعها من قومه ، وأنبيا : بطيئًا ، ينظر : ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ٣٢٩ .

(٣) سورة طه من الآية ٤٢ .

(٤) ينظر : شرح الدماميني على مغني اللبيب ٢ / ٣٩ ، ٤٠ .

بمعنى تركها وعدم أدائها ، والدليل على ذلك لاختيار التعبير بـ " عن " دون " في " .

وأما عن الثالث : ففيه حكم من الخطابي على أبي العالية بالخطأ<sup>(١)</sup> فيما أجاب به ، حيث جعل " عن " مؤدبة معنى " في " ، فلم يفرق بينهما في الدلالة ، وفيه حكم للحسن بالصواب ، حيث تنبّه إلى اختلاف الحرفين في الدلالة ، فالسهو إذا تعدى بـ ( في ) فإن المعنى الغلط في الصلاة ، كم صلى وكم ترك ، وإذا تعدى بـ ( عن ) كان المعنى أنهم لا يصلونها حتى يذهب وقتها ، وأن أسلوب الآيات يستوجب أن يكون المعنى هو ما يؤديه الحرف ( عن ) على ما هو أصل استعمالها في اللغة .

والأسلوب الذي نظمت عليه هذه السورة يستدعي معنى ( عن ) ويحيل أن تكون مرادفة لـ ( في ) أو مؤدبة معناها<sup>(٢)</sup> وبيان ذلك يتلخص في أمرين :

(١) وذلك أخذاً من قوله قبل : ( وإنما أتيت أبو العالية ) ، يقال أتيت الرجل - كـ ( عني ) : ذهيت وتغيرت عليه حسنة فتوهم ما ليس بصحيح صحيحاً ، وفي حديث أبي هريرة : إني قلت أتيت أي ذهيت وتغيرت عليك حسنة ... ينظر : لسان العرب ، و تاج العروس ( أتى ) .

(٢) معناها ( الوعاء ) عند المالقي ، كقوله تعالى ( هم فيها خالدون ) ( سورة البقرة من الآية ٣٩ ) ، قال : وهي ( أي : الظرفية ) الأصل فيه ( أي : الحرف في ) ، ينظر : رصف المباني ٤٥٠ ، وهي عند المرادي لمعان كثيرة أول ما ذكر منها : ( الظرفية ) ، وبالظرفية ابتداء ابن هشام معانيها ، ينظر : الجنى الداني ٢٥٠ ، ومغني اللبيب ٥١٣ / ٢ .

أما الأول : فلأنّ المعنى الأصلي الذي تفيدُه " عن " عند النحاة هو المُرَائِلَةُ<sup>(١)</sup> والمجاوزه<sup>(٢)</sup> ، وكلا المعنيين يدل على أن الفعل المتعدّي بها يحصل خارج ما دخلت عليه لا داخله ، قال الدماميني<sup>(٣)</sup> : ( والمراد بـ " المجاوزة " : بُعْدُ شَيْءٍ عَنِ الْمَجْرُورِ بِهَا بِسَبَبِ إِجَادِ مَصْدَرِ الْفِعْلِ الْمُتَعَدِّي بِهَا )<sup>(٤)</sup> ، وهي في الآية قد تَعَدَّتْ بـ ( السهو ) ، وعلى ذلك فقوله تعالى : { عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ } ، يعني بعدهم عن الصلاة بسبب السهو ، أي : تركهم إيّاها سهواً ، ويؤكد ذلك ما ثبت من أن " عن " عند البصريين مُخْتَصَّةٌ بِمَعْنَى " المجاوزة " <sup>(٥)</sup> ، وهذا يعني أنها لا تتعدّى المجاوزة إلى غيرها من المعاني كمعنى " في " ، فيلزم عدم أداء " عن " معناها ، فلا تحل محلّها .

(١) قال بذلك الماتقي ، ينظر : رصف المباني ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، قال الخليل : ( التَّرَائِلُ : التَّبَائِنُ ، تقول : زَيْلْتُ بَيْنَهُمْ أَي فَرَّقْتِ ) العين مادة ( ز ي ل ) ، وقال ابن سيده : ( وَزَائِلَةٌ مَرَائِلَةٌ وَزَيْلَالًا : بَارِحَةٌ ) المحكم مادة ( ز ي ل ) .  
(٢) قال بذلك كل من :

المرادي ، ينظر : الجنى الذاتي في حروف المعاني للمرادي ٢٤٥ ، وابن هشام ، ينظر : شرح الدماميني على مغني اللبيب ٣٦ / ٢ ، وقال الرازي : ( جاوزَ الشَّيْءَ إِلَى غَيْرِهِ وَتَجَاوَزَهُ بِمَعْنَى ، أَي : جَاوَزَهُ ) مختار الصحاح مادة ( ج و ز ) .

(٣) هو : ( محمد بن أبي بكر بن عمر ) ، ( ت ٨٢٧ هـ ) - ينظر : بغية الوعاة للسيوطي ١ / ٦٦ رقم ٧٣ ، و شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ٩ / ٢٦٢ .

(٤) شرح الدماميني على مغني اللبيب ٣٦ / ٢ .

(٥) ينظر كل من : الجنى الذاتي ٢٤٥ ، ومغني اللبيب بشرح الدماميني ٢ / ٣٦ .

وَأَمَّا الْآخِرُ : فَلَأَنَّ أَسْلُوبَ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ الَّذِي نَظَّمَتْ عَلَيْهِ يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ ( السَّهُوُ ) بِمَعْنَى التَّرْكِ وَالْإِهْمَالِ وَالِاسْتِهْزَاءِ (١) ، وَذَلِكَ أَنَّ ( الْمَصَلِّينَ الَّذِينَ يَسْهَوْنَ عَنِ الصَّلَاةِ ) إِمَّا أَنْ يَكُونُوا هُمُ الَّذِينَ ( يُكذَّبُونَ بِالذِّينِ ) فِي أَوَّلِ السُّورَةِ ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونُوا غَيْرَهُمْ ، فَإِنْ كَانُوا هُمْ فَالْمَعْنَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - :

هَلْ عَرَفْتَ الَّذِي يُكذَّبُ بِالْجِزَاءِ وَالْحِسَابِ مَنْ هُوَ ؟ ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِ بِالْفَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى : { ذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ (٢) الْيَتِيمَ وَلَا يَحْضُ (٣) عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ } ، بِمَعْنَى : أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكذَّبُ بِالذِّينِ فَيَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ؟ (٤) ، فَهَذَا الْاسْتِفْهَامُ يُفِيدُ الْمَبَالِغَةَ (٥) فِي التَّعَجُّبِ مِنْ ذَلِكَ الَّذِي يُكذَّبُ بِالذِّينِ وَيَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ، وَجَوَابُ هَذَا الْاسْتِفْهَامِ - عَلَى ذَلِكَ - مَفْهُومٌ مِنَ السِّيَاقِ ، تَقْدِيرُهُ : ( أَنْعَمَ مَا يَصْنَعُونَ ؟ ) ، وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : { فَوَيْلٌ

(١) حَقِيقَةُ " السَّهُوُ " الذَّهْوُ عَنْ أَمْرٍ سَبَقَ عِلْمُهُ ، وَهُوَ هُنَا مُسْتَعَارٌ لِلْإِعْرَاضِ وَالتَّرْكِ

عَنْ عَمْدِ اسْتِعَارَةِ تَهْكِمَةِ ، يَنْظُرُ التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ٣٠ / ٥٦٩ .

(٢) قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ : ( دَعَا يَدْعُهُ دَعَاً : دَفَعَهُ فِي جَفْوَةٍ ) وَنَقَلَ عَنْ ابْنِ دُرَيْدٍ ( دَعَاهُ :

دَفَعَهُ دَفْعًا عَنِيفًا وَأَزْعَجَهُ إِزْعَاجًا شَدِيدًا ) الْمَحْكَمُ مَادَّةُ ( د ع ع ) ، وَقَالَ الرَّاعِبُ :

( الذَّعُّ : الدَّفْعُ الشَّدِيدُ ) الْمَفْرَدَاتُ ٢٦٦ ، وَيَنْظُرُ : نَظْمُ الدَّرَرِ ٢٢ / ٢٧٨ .

(٣) نَفَى الْحَضُّ كُنَايَةٌ عَنِ نَفْيِ الْإِطْعَامِ ؛ لِأَنَّ الَّذِي يَشْبَعُ بِالْحَضِّ عَلَى الْإِطْعَامِ هُوَ

بِالْإِطْعَامِ أَشْبَحَ ، يَنْظُرُ التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ٣٠ / ٥٦٦ .

(٤) يَنْظُرُ : التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ٣٠ / ٥٦٤ .

(٥) وَذَلِكَ أَنَّ الْمُسْتَفْهَمَ إِذَا كَانَ عَلَى عِلْمٍ بِمَا يَسْتَفْهَمُ عَنْهُ كَانَ الْاسْتِفْهَامُ خَارِجًا عَنْ

أَصْلِ مَعْنَاهُ ، يَنْظُرُ : التَّفْسِيرُ الْبَيَانِيُّ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِعَائِشَةَ بِنْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ٢ / ١٨٣ .

لِلْمُصَلِّينَ <sup>(١)</sup> } بهذا التوجيه : ( فَوَيْلٌ لَهُمْ ) بَعُودَ الضمير على الذي يُكذِّبُ بالدين وَيَدْعُ وَلَا يَحْضُ ، فَإِذَا عَلِمَ أَنَّهُ مُسِيءٌ فَجَزَاؤُهُ الْوَيْلُ ، وبذلك يكون الأسلوب قد عدل عن ( الإضمار ) الذي هو مقتضى الظاهر إلى ( الإظهار ) الذي هو على خلافه <sup>(٢)</sup> ؛ إذ الساهون عن الصلاة هم أنفسهم المكذبون بالحساب والجزاء .

أَمَا إِذَا كَانُوا غَيْرَهُمْ فَالْمَعْنَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - :

هل عرفت الذي يُكذِّبُ بالجزاء والحساب مَنْ هو ؟ إِنْ لَمْ تَعْرِفْهُ فَهُوَ { ذَلِكَ الَّذِي <sup>(٣)</sup> يَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ } ، وعلى ذلك يكون قوله تعالى { فذلك } وما عطفَ عليه جواباً على ذلك الاستفهام التعجُّبي ، أي أَنَّ علامة تكذيب هؤلاء بالجزاء والحساب هي إقدامهم على إيذاء الضعيف ومنعهم المعروف ، وعلى ذلك فمعنى قوله تعالى : { فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ... } إلى آخر السورة : إِذَا كَانَ إِيْذَاءُ الضَّعِيفِ وَمَنْعُ الْمَعْرُوفِ

(١) جاء بصيغة الجمع تنبيهاً على أن الكثرة ليست لها عنده سبحانه وتعالى عِزَّةٌ ؛ لأن إهانة الجمع مستلزمة لإهانة الأفراد من غير عكس ، ينظر : نظم الدرر ٢٢ / ٢٨٠ .

(٢) في الكشاف : ( فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ، على معنى : فَوَيْلٌ لَهُمْ ، إلا أنه وضع صفتهم موضع ضميرهم ؛ لأنهم كانوا - مع التكذيب وما أضيف إليهم - ساهين عن الصلاة مراتين غير مَرَكِّينَ أموالهم ) ٦ / ٤٤٠ ، وعَلَّلَ الشيخ زاده ( ت ٩٥١ ) - هذا لهذا العدول إلى الإظهار ( بالدلالة على معاملتهم مع الخالق والخلق ) يعني : أَنْ ( دَعَا الْيَتِيمَ ، وَعَدَمَ الْحَضَّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ) إنما هما في جانب الخلق ، وَأَنَّ ( السُّهُوَّ عَنِ الصَّلَاةِ ) يكون في جانب الخالق - سبحانه - ينظر : حاشية محيي الدين زاده على تفسير البيضاوي ٨ / ٦٩٩ ، ونعم ما علَّلَ به أبو السعود بقوله : ( لَيْتَوَسَّلَ بِذَلِكَ إِلَى بَيَانِ أَنَّ لَهُمْ قَبَائِحَ أُخْرَ غَيْرَ مَا ذَكَرَ ) تفسير أبي السعود ٥ / ٥٨١ .

(٣) ذلك : مبتدأ ، والموصول خبره ، تفسير أبي السعود ٥ / ٥٨٠ .

عَلَمًا عَلَى تَكْذِيبِ هَؤُلَاءِ بِالْجِزَاءِ وَالْحِسَابِ ، فَهَؤُلَاءِ أَحَقُّ بِأَنْ يَكُونَ  
سَهْوُهُمْ (١) عَنِ الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ عِمَادُ الدِّينِ وَالْفَارِقُ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ ،  
 وَمَنْعُهُمُ الزَّكَاةَ الَّتِي هِيَ شَقِيقَةُ الصَّلَاةِ وَقَنْطَرَةُ الْإِسْلَامِ (٢) عَلَمًا عَلَى أَنَّهُمْ  
 مُكْذِبُونَ بِالْجِزَاءِ وَالْحِسَابِ (٣) .

وَعَلَى كِلَا التَّقْدِيرَيْنِ لَا يَسْلَمُ الْأَسْلُوبُ بِجَعْلِ (عَنْ) بِمَعْنَى  
 (فِي) الَّذِي يُقِيدُ أَنْ مَقْصُودُ النَّظْمِ الْكَرِيمِ أَنْ (السَّهْوِ) فِي الْآيَةِ إِنَّمَا هُوَ  
 فِي دَاخِلِ الصَّلَاةِ ، كَيْفَ ؟ وَقَدْ يَعْضُ سَهْوٌ فِي دَاخِلِ الصَّلَاةِ لِلصَّالِحِينَ  
 وَالْعُلَمَاءِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَضِلَّا عَنْ إِمَامِ الْمُتَّقِينَ (ؑ) .

= كَيْفَ يَكُونُ الْمَعْنَى : أَنْ الَّذِي يُكْذِبُ بِالدِّينِ وَيَدْعُ الْبَيْتِمْ وَلَا  
 يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ وَيَسْهَوُ فِي صَلَاتِهِ فَلَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى وَرِثَائِي  
 الْخَلْقَ وَيَمْنَعُ الْمَعْرُوفَ - مُسِيءٌ وَلَهُ الْوَيْلُ ؟

= بَلْ أَنَّى يُقْبَلُ الْمَعْنَى عَلَى أَنْ : دَعَّ الْبَيْتِمْ ، وَعَدَمَ الْحَضَّ عَلَى  
 طَعَامِ الْمَسْكِينِ - عَلَّمَ عَلَى التَّكْذِيبِ بِالْحِسَابِ وَالْجِزَاءِ ، كَمَا أَنَّ سَهْوَهُ  
 هَؤُلَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ فَلَا يَدْرُونَ كَمْ صَلُّوا ، وَمُرَاءَاتِهِمْ وَمَنْعُهُمُ الزَّكَاةَ -  
 أَحَقُّ بِأَنْ يَكُونَ عَلَمًا عَلَى هَذَا التَّكْذِيبِ ؟ فَيَكُونُ (السَّهْوُ فِي الصَّلَاةِ) مِنْ  
 بَيْنِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ صَاحِبَهُ مُكْذِبٌ بِالدِّينِ ، مُنْكَرٌ لِلْبَيْعِ وَالْحِسَابِ .

(١) وَإِنَّمَا اخْتَارَ التَّعْبِيرُ الْقُرْآنِيُّ اسْلُوبَ الْوَصْفِ (سَاهُونَ) دُونَ الْفِعْلِ ؛ حَتَّى يَدُلَّ  
 عَلَى دَوَامِ الْغَفْلَةِ عَلَيْهِمْ وَمَلَازِمَتِهَا لَهُمْ ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ بَرَهَانَ الدِّينِ الْبِقَاعِيِّ ت ٨٨٥  
 هـ : (سَاهُونَ) أَيِ عَرِيقُونَ فِي الْغَفْلَةِ وَتَضْيِيعِهَا وَعَدَمِ الْمَبَالَاةِ بِهَا ، وَقِلَّةِ الْإِتْفَاتِ  
 إِلَيْهَا) نَظْمُ الدَّرْرِ فِي تَنَاسُبِ الْآيَاتِ وَالسُّورِ ٢٢ / ٢٨١ .  
 (٢) قَالَ الْعَلَامَةُ جَارِ اللَّهِ : (وَكَمْ تَرَى مِنَ الْمُنَسَّمِينَ بِالْإِسْلَامِ ، بَلْ مِنْ الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ  
 مَنْ هُوَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ ، فَيَا مُصِيبَتَاهُ) الْكَشَافُ ٦ / ٤٤٠ .  
 (٣) فَحَوَى هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ مِنْ كَلَامِ صَاحِبِ الْكَشَافِ ٦ / ٤٤٠ .

فالأسلوب في الآيات لا يَصِحُّ ولا يستقيم على جعل ( عن )  
 بمعنى ( في ) ، كما فهم من فهم وسأل مَنْ سأل ، سواءً كان المعنى أن  
 السَّاهِينَ هم المَكْذِبُونَ بالدِّينِ ، أو أَنَّهُمْ أَحَقُّ مِنْهُمْ فِي كَوْنِ هَذَا السُّهُوِّ وَمَا  
 بَعْدَهُ عِلْمًا عَلَى تَكْذِيبِهِمْ بِالذِّينِ .

ومِمَّا هُوَ كَالْتَتْمِيمِ لِهَذَا الْمَقَامِ : أَنَّ الْقَوْلَ بَأَنَّ ( عن ) تَأْتِي بِمَعْنَى  
 ( فِي ) لَمْ يَكُنْ مَحَلًّا لِاتِّفَاقِ بَيْنِ النُّحَوِيِّينَ <sup>(١)</sup> ، كَمَا أَنَّ الْقَوْلَ بَأَنَّ الْمَعْنَى فِي  
 قَوْلِ الْأَعَشَى السَّابِقِ مَحْمُولٌ عَلَى مَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : { وَتَأْتِي تَتِيًّا فِي  
 ذِكْرِي } <sup>(٢)</sup> ، فَتَكُونُ ( عن ) فِي الْبَيْتِ بِمَعْنَى ( فِي ) ، أَي : ( وَلَا تَكُ  
 وَائِيًّا فِي حَمْلِ الرَّبَاعَةِ ) - غَيْرُ مُسَلِّمٍ ؛ لِأَنَّ مَعْنَى : ( وَتَى عَنْ كَذَا :  
 جَاوَزَهُ وَلَمْ يَدْخُلْ فِيهِ ) ، وَمَعْنَى : ( وَتَى فِيهِ : دَخَلَ فِيهِ وَقَفَّرَ وَقَصَّرَ ) ،  
 وَالْخَطَابُ فِي الْبَيْتِ لَيْسَ لِمَنْ تَحَمَّلَ وَقَفَّرَ وَقَصَّرَ ، بَلْ لِمَنْ لَمْ يَتَحَمَّلْ أَنْ  
 يَتَحَمَّلَ كَمَا قَالَ الدَّمَامِينِيُّ <sup>(٣)</sup> ، بِخِلَافِ الْآيَةِ فِيهِ بِخِلَافِ الْبَيْتِ .

(١) قَالَ الْمُرَادِيُّ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ أَنَّ مِنْ مَعَانِي ( عن ) الْمَجْوُزَةَ : ( وَهُوَ أَشْهُرُ مَعَانِيهَا ،  
 وَلَمْ يُثَبِّتْ لَهَا الْبَصْرِيُّونَ غَيْرَ هَذَا الْمَعْنَى ) ( الْجَنَى الدَّانِي ٢٤٥ ) ، وَفِي آخِرِ حَدِيثِهِ  
 عَنْ مَعَانِيهَا قَالَ : ( وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْمَعَانِي السَّابِقَةَ إِنَّمَا أُثْبِتَهَا الْكُوفِيُّونَ وَمَنْ وَافَقَهُمْ  
 كَالْقَتَيْبِيِّ وَابْنِ مَالِكٍ ، قَالَ بَعْضُ النُّحَوِيِّينَ : وَهَذَا الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْكُوفِيُّونَ بَاطِلٌ ؛ إِذْ لَوْ  
 كَانَتْ لَهَا مَعَانِي هَذِهِ الْحُرُوفِ لَجَازَ أَنْ تَقَعَ حَيْثُ تَقَعَ هَذِهِ الْحُرُوفُ ، فَجَوَّبَ أَنْ يَتَأَوَّلَ  
 حَمِيعٌ مَا ذَكَرُوهُ مِمَّا خَالَفَ مَعْنَى الْمَجَاوِزَةِ ) السَّابِقُ ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(٢) سُورَةُ طه مِنَ الْآيَةِ ٤٢ .

(٣) يَنْظُرُ : شَرْحُ الدَّمَامِينِيِّ عَلَى مَغْنِي اللَّيْبِ ٢ / ٤٠ ، وَكَلَامُ ابْنِ هِشَامٍ أَوَّلُ لِمَا

هُوَ عِنْدَ الدَّمَامِينِيِّ .



وعلى ذلك يكون القرآن الكريم قد اختار كلمة " عن " دون غيرها مما قد يشاركها في بعض معناها ، في سياق لا يصح أن يُستعمل فيه حرفاً ، وإن كان أحدهما يستعمل فيما يُستعمل فيه الآخر عند بعضهم .

فالاختيارُ من بين المترادفات - عند من يقولون بالترادف ممن خالفهم الخطّابي - ووضَعُ الكلمة المختارة حيث ينبغي لها من التركيب ، بما يتناسب ومعناها المعجمي والتركيبّي مظهرٌ من مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم .

## النموذج الخامس

### الأكل والفرس

ممّا ذكره الخطابي في صورة اعتراضاتٍ على وجه البلاغة ، التي جعلها أقوى وجوه الإعجاز للقرآن الكريم : قوله تعالى حكايةً عن إخوة يوسف ( عليه السلام ) وقد ألقوه في الجُبِّ : { قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذُهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذَّنْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ } (١) ، وفحوى ما ذكره من اعتراضٍ أنّ للمعترض أن يقول : الأولى في الاستعمال اللغوي أن يُقال : ( فافترسه الذئبُ ) ؛ لأنّ فعل السباع إنما هو : الافتراس ، قال الخطابي في صياغة اعتراضهم : ( يُقال : افترسه السَّبُعُ ، هذا هو المختارُ الفصيحُ في معناه ، فأما الأكلُ فهو عامٌّ لا يختصُّ به نوعٌ من الحيوان دون نوعٍ ) (٢) .

وهذا يعني أنّ ما جاء عليه أسلوب القرآن الكريم من اختيار هذه اللفظة غيرٍ دقيقٍ ، وأنّ غيرها أولى منها في الاستعمال ؛ لأنّ اللغة - وهي أولى دعائم الأسلوب - تستوجب ذلك .

وبعد أن ذكر الخطابي هذا الاعتراض مع غيره من الاعتراضات ، قال في ردّه : ( ... فإنّ الافتراس معناه في فعل السَّبُعِ القتلُ فحسب ، وأصلُ " الفرسِ " نَقُّ العنق ، والقومُ إنما ادَّعَوْا على الذئبِ أنّه أكله أكلاً وأتى على جميع أجزائه وأعضائه ، فلم يترك مَقْصِلاً ولا عظماً ، وذلك أنهم خافوا مُطالَبَةَ أبيهم إنّهم بأثرٍ باقٍ

(١) سورة يوسف آية ١٧ .

(٢) بيان إعجاز القرآن ٣٨ .

منه يشهدُ بِصِحَّةِ ما ذَكَرَوه ، فَادَّعَوْا فِيهِ الأَكْلَ ؛ لِئَزِيلُوا عَنْ أَنفُسِهِم  
المَطالِبَةَ ، وَالْفَرَسُ لا يُعْطَى تَمَامَ هَذَا المَعْنَى ، فَلَمْ يَصْلُحْ عَلَى هَذَا أَنْ  
يُعَبَّرَ عَنْهُ (إِلَّا بِالأَكْلِ) (١) .

فقد بدأ ببيان معنى (الافتراس) في اللغة ، ثم اتجه إلى بيان  
السبب الذي من أجله عدل عن استعماله مع أنه المناسب للحدث عن  
فعل الذئب المزعوم ، فأثبت أن الأسلوب بهذا العدول قد طابق  
مقتضى الحال ، ومُلخَّص قوله : أَنْ نِيَّةَ إِخْوَةِ يوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلامِ  
- وما أرادوه - وهم القائلون لهذا القول والمُنشِئونَ له - مِنْ أَنْ  
الذئب قد (أكله أكلًا ، وأتى على جميع أجزائه وأعضائه ، فلم يترك  
مَقْصِلًا ولا عَظْمًا) حالًا ، وهذه الحال تقتضي التعبير بـ (الأكل)  
دون (الافتراس) ، فالتعبير بـ (الأكل) هو الاعتبار المناسب لهذه  
الحال ، وهو الذي يقتضيه المقام ، والكلام إذا جاء مطابقًا لمقتضى  
الحال فهو بليغٌ ، وقد جاء كلامهم كذلك .

وهذه المطابقة لمقتضى الحال إنما تتحقق بتوخي معاني  
النحو بين الكلم ، على حسب الأغراض التي يُصاغ لها الكلام ، وهذا  
هو مفهوم (النظم) عند الإمام عبد القاهر الذي يقول : (ليس من  
فضلٍ ومزيةٍ إلا بحسب الموضع ، وبحسب المعنى الذي تَوَمَّنَ) (٢) .  
واعتبار (حال المتكلم) وما يحسن به وما يريدُه ، قد أقره  
قُدَامَى الأُدباء والنقاد ، وهو عندهم مما له القيمة في ابتكار العِمل  
الأدبي ، يُشير إلى ذلك ما حكاه الأَصمعي (٣) (ت ٢١٦ هـ) من

(١) السابق ٤١ .

(٢) "بحسب الموضع" يعني : في التركيب ، دلائل الإعجاز ٨٧ .

(٣) هو : عبد الملك بن قُريب ، ينظر : وفيات الأعيان ٣ / ١٧٠ رقم ٣٧٩ .

قوله ( كفاك من الشعراء أربعة : زهيراً إذا رَغِب ، والنابغة إذا رهب ، والأعشى إذا طَرِب ، وعنترة إذا كَلِب ( ١ ) ( ٢ ) ، فأحوال هؤلاء الشعراء تتحكم في جودة شعرهم وسبقهم ، ولعل في سَوَقِ ابنِ رَشِيْقِ القِيروَانِيّ ( ت ٤٥٦ هـ ) هذا القول عن الأصمعيّ في بابِ عَنُونٍ له بـ ( المشاهير من الشعراء ) ما يُؤكِّد ما نحن فيه من الاهتمام بحال المتكلم ودرجته ومكاته ، وقد جاء في كلام الإمام عبد القاهر ما يشير إلى اهتمامه بحال المتكلم ( ٣ ) .

ولقد توصل الخطابي إلى أن القائلين لهذا النص - وهم إخوة يوسف عليه السلام - ادعوا أن الذئب أكل أخاهم - وقد ألقوه في غيابة الجب - فوجب أن يكون قولهم مصوراً لما أرادوه ، مُعَبِّراً عما في ضمائرهم ، فلو أنهم استعملوا قوانين اللغة ، فاخترأوا التعبير بـ ( افترسه ) بدلا من ( أكله ) لَمَا عَبَّرُوا عن مرادهم وما في نفوسهم ، فضلاً عن تعرُّضهم لسؤالٍ كان سيوجِّهه إليهم أبوهم مؤداه :

- 
- ( ١ ) يُقال : كَلِبَ عليه كَلْبًا : غَضِبَ ، ينظر المحكم لابن سيده مادة ( ك ل ب ) .  
( ٢ ) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني ١ / ٩٥ ، وينظر : مقتضى الحال بين البلاغة القديمة والنقد الحديث لإبراهيم محمد الخولي ٥٥٤ .  
( ٣ ) قال في اختيار المتكلم ما يُصوِّر ما في نفسه : ( .. فَمِنْ ذَلِكَ ما يَقُولُهُ النَّاسُ قاطبةً مِنْ أَنَّ العاقلَ يُرْتَبُّ في نفسه ما يُريد أن يتكلَّم به ، وإذا رجعنا إلى أنفسنا لم نجد لذلك معنى سوى أنه يقصد إلى قولك "ضرب" فيجعله خبراً عن "زيد" ، ويجعل "الضرب" الذي أخبر بوقوعه منه واقعاً على "عمرو" ، ... فيقول "ضرب زيد عمراً" يوم الجمعة تأديباً له . وهذا كما ترى هو تَوْخِيٌّ معاني النحو فيما بين معاني هذه الكلام ) دلائل الإعجاز ٤٠٥ .

أين ما تَبَقَّى من الافتراس ، فالبلاغة إذن تقتضي التعبير بالأكل دون الافتراس .

وهذا الذي توصل إليه الخطابي - رحمه الله - من تبرير لِمَا جاء عليه أسلوب القرآن الكريم في هذه الآية ، وما حوّل به ما افترضه من اعتراض على النظم القرآني إلى مظهر من مظاهر البلاغة والإعجاز ، تُقْبَلُ عليه النفس وتستريح إليه لو لم يكن قد سبق استعمالُ ( الأكل ) مُسْنَدًا إلى ( الذئب ) على لسان أبيهم - عليه السلام - ، قال تعالى : { قَالَ إِنِّي لَبِخْرُؤُنِّي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ } (١) .

وإذا كانت المخالفة لقوانين اللغة مقبولة مُسْتَسَاغَةً فيما جاء على لسان إخوة يوسف - عليه السلام - لتصوير ما أرادوا ، فالحال عند أبيهم مختلفٌ ، فليس مقبولاً ما قاله الإمام الخطابي - رحمه الله - في ردّه هذا الاعتراض .

على أن ما ذكره الإمام الخطابي من تعليل وتبرير ، معتمداً على اعتبار " المنكلم " في تحديد الحال الذي تراعى عند إجراء المطابقة لمقتضى الحال : لَيَصْلُحَ عند تحليل بعض النصوص العالية ، وإن كان غير صالح لِمَا ساقه من أجله ههنا .

ومهما يكن من شيء فإن استعمال الفعل ( أكل ) مُسْنَدًا إلى الذئب - في ضوء ما أثبتّه الخطابي في رسالته من قوانين اللغة - لا بدّ له من تعليل ، حتى يكون اختيار المفردات القرآنية مظهرًا من

(١) سورة يوسف آية ١٣ .

مظاهر الإعجاز ، ولا تكون - هي وما شاكلها - غَمِيزَةً يُطَعَنُ بِهَا  
في القرآن الكريم .

والذي يمكن قوله في تعليل اختيار هؤلاء الفعل " أكل " دون  
" افترس " : أنهم التمسوا من وسائل التعبير ما يظنون أنه سائر  
لفعلتهم بأخيم حين القوه في غيابة الجب ، فقد ظنوا أن أقرب شيء  
يُصدِّقه أبوهم هو ما صرَّح به نفسه وتوقَّعه وخافه ، في قوله :  
{ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ } ، فاستعملوه مُشَاكِلَةً له لعله يُصدِّقهم فيما  
قالوه - لكان أقرب إلى القبول مما قاله ، وأنسب لكل من العلاقات  
الاستبدالية والعلاقات الركنية التي أساس ( النظم ) أقوى مظاهر  
الإعجاز القرآني .

على أننا إذا ما بحثنا عن سِرِّ وراء استعمال مادة ( الأكل )  
مُسَنَّدَةً إلى الذنب في كلام أبيهم - عليه السلام - ، فلن نجد من علَّة  
سوى أن اللسان العربي يستعمله مُسَنَّدًا إلى الذنب <sup>(١)</sup> ، فهو على  
الأصل ، فلا حاجة إذن إلى ما أثاره الخطابي حول هذا الاستعمال من  
تصوُّرٍ لاعتراضٍ والردِّ عليه .

وهذا الاستعمال اللغوي في اللسان العربي والذي جاء عليه  
أسلوب القرآن الكريم هو الأنسب ؛ لأن فعل الذئاب يجمع بين  
" الفرس " و " أكل ما يسدُّ جوعه " ، والأكل يشمل الفرس ؛ لأنه  
يسبقه في الوجود ، بخلاف ( الفرس ) ، فإنه لا يشمل الأكل ، فالسبع  
لا يأكل إلا بعد الفرس ، وليس العكس ، ولذلك لا أروع ولا أدق ولا

(١) والعجب أن الخطابي قال : ( على أن لفظ " الأكل " شائع الاستعمال في الذنب  
وغيره من الذئاب ) بيان إعجاز القرآن ٤١ ، وما دام الأمر كذلك فإن الاستعمال  
القرآني قد وافق هذا الشيوخ ، فلا يُسأل عن علته ؛ إذ لا خروج حينئذ عن الأصل .

أَجْمَل مِمَّنْ قَالَ فِي مَعْنَى قَوْلِ أَبِيهِمْ لَهُمْ : ( أَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ ،  
أَي : يَقْتُلُهُ فَيَأْكُلُ مِنْهُ ، فَإِنَّكُمْ تَبْعُدُونَ عَنْهُ ) (١) .

ولذلك نستطيع أن نقول : لو أن القرآن الكريم كان قد اختار  
في الاستعمال ( افترسه ) وعدلَ عن ( أكله ) لكان ذلك هو الذي  
يُعْتَرَضُ عَلَيْهِ ، وكان لهذا الاعتراض وَجَاهَةً ، ولِلنَّفُوسِ نحو إبطاله  
اهْتِمَامٌ وَتَشَوُّفٌ ؛ وذلك لمخالفته المُسْتَعْمَلِ فِي اللُّغَةِ ، والمشهور عند  
علمائها ، والذائع في استعماله .

ومن أقوى ما يؤيد ذلك ويؤكدُه ما نسبته كلُّ من الجَوْهَرِيُّ  
( ت ٣٩٣ هـ ) والرازِي ( ت ٦٦٦ هـ ) إلى النَّضْرِ بْنِ شَمِيلٍ (٢)  
من قوله : ( يُقَالُ أَكَلَ الذَّنْبُ الشَّاةَ ، وَلَا يُقَالُ افْتَرَسَهَا ) (٣) ، فهذا  
النصُّ مع ما يُعرَفُ عن مكانة ابن شَمِيلِ اللُّغَوِيَّةِ ، واتِّفَاقِ الصَّحَّاحِ  
ومُخْتَارِهِ على صحة نسبة هذا القول إليه ، لَنَظْمَتِنُ النَّفْسِ إِلَى صِحَّةِ

---

(١) هو : الطاهر بن عاشور في ( التحرير والتنوير ) ١٢ / ٢٣١ ، ولعله أفاد ذلك  
مما قاله العلامة جار الله عند تفسير الآية ٣ من سورة المائدة : ( " وَمَا أَكَلَ السَّبْغُ " )  
بعضه " إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ " إلا ما أدركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المنبوح وتشخب  
أوداجه ) الكشاف ٢ / ١٩٤ .

(٢) قال عنه ياقوت : ( النحوي اللغوي الأديب . ) ينظر : معجم الأديب ٢٧٥٨ رقم  
١١٨٩ ، وقال عنه ابن خلكان : ( كان عالماً بفتونٍ من العلم صدوقاً ثقة ، صاحب  
غريب وفقه وشعر ومعرفة بأيام العرب ورواية الحديث ، وهو من أصحاب الخليل بن  
أحمد ) ، وفيات الأعيان ٥ / ٣٩٧ رقم ٧٦٤ ، وقال عنه الذهبي : ( وقال العباس بن  
مصعب : سئل النضر عن الكتاب الذي يُنسبُ إلى الخليل ، ويُقال له كتاب " العين "  
فأنكره ) ، سير أعلام النبلاء ٩ / ٣٣٠ .

(٣) تاج اللغة وصحاح العربية ، ومختار الصحاح ، مادة : ( ف ر س ) .

ما يقول ودِقَّتَه ، وهو نصٌّ - ليس في جواز تسمية فعل الذئب أكلًا  
فحسب - بل وفي تخطئة من يُسمِّيه افتراسًا .

وزيادة على ما ذكر لو أن القرآن الكريم كان قد  
استعمل " الافتراس " دون " الأكل " لما كان له شيءٌ من القبول ،  
ولا قليلٌ من البلاغة ، فضلا عن الإعجاز الذي يشهد به الواقع إلى  
قيام الساعة ، وذلك أن معنى ( الفَرَس ) لا يخرج عن معنى نق  
العُنُق (١) ، و"الدَّقُّ" لا يخرج عن معاني : الرِّضُّ والكسرِ والفصل (٢)  
، ولا معنى ولا نظم في ذلك يصل إلى حدِّ الإعجاز ، فليس يصحُّ في  
الأفهام أن يكون المعنى أن أباهم قد خاف من ذهاب " يوسف " ( عليه  
السلام ) معهم أن تُكسرَ عُنُقُه أو تُفصل رأسُه أو يُرَضُّ .

ثم أليس الذئب مما يأكل ؟ أم أنه يدقُّ العُنُقَ فحسب !

وكان الخطابي - رحمه الله - بعد أن ذكر ما افترضته من  
اعتراضٍ على أسلوب القرآن الكريم ، حيث اختار في الاستعمال  
( أكله ) ، وما اعتبره من نقضٍ لهذا الاعتراض وردًّا عليه ، أدرك أن

(١) ينظر : العين ، مادة ( ف ر س ) .

(٢) قال الخليل : ( ونادى منادي عمر فقال : لا تَنخَعُوا ، ولا تَقْرِسُوا ، أي : لا  
تكسروا العُنُقَ ) العين ( ف ر س ) ، وقال ابنُ ذرِّيدٍ : ( ويقال : فَرَسَتْ الذبيحةُ  
أُفْرِسَها فَرَسًا إذا فَصَلَتْ عُنُقَها ) ، جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن دريد مادة ( ف ر  
س ) ، وقال ابن فارس : ( الفاءُ والراءُ والسينُ أصنيلٌ واحدٌ يدلُّ على وطءِ الشيءِ  
ودِقَّتَه ) معجم مقاييس اللغة ( ف ر س ) ، وقال ابنُ سيده : ( والدَّقُّ : الكسرُ والرِّضُّ  
في كلِّ وجهٍ ) المحكم ( د ق ق ) ، وفي الأساس : ( دَقَّ الشيءَ بالمدِّقِّ والمدِّقَّةِ والمدِّقُّ  
فاندقُّ ) أساس البلاغة ( د ق ق ) ، وقال الزبيدي : ( وقال أبو عبيدٍ : الفرسُ :  
الكسر ، وكلُّ قتلٍ فرسٌ ) تاج العروس ( ف ر س ) .



هذا الردّ ليس في محلّه ، فذكر ما ذكر من أدلة على أنّ استعمال " الأكل " في فعل السباع مما هو متداول ومشهور عند اللغويين ، إلا أنه لم يُصرّح برجوعه عنه .

ولقد أثبت الخطّابي - رحمه الله - بعد أن ذكر ما ردّه به هذا الاعتراض - أدلة كثيرة ومتنوعة<sup>(١)</sup> ، كلّها يدلُّ على أنّ الموروث اللغويّ قد جاء باستعمال ( الأكل ) مُسنّداً إلى الذئب ، غير مُرادٍ به أكل الفريسة كلّها ، والإتيان على أجزائها وأعضائها ، من ذلك :

١ - قول الشاعر :

[ من الطويل ]

فَتَى لَيْسَ لِابْنِ الْعَمِّ كَالذَّنْبِ إِنْ رَأَى بِصَاحِبِهِ يَوْمًا دَمًا فَهَوَّ أَكَلَهُ<sup>(٢)</sup>  
فعبّر بالأكل وليس المقصود أنه يأتي على صاحبه بجميع أعضائه وأجزائه ، والشاهد أنّ الأكل مستعمل في الفصيح مع الذئب ، وليس كما ذكر الخطّابي قبل من أنّ ( افترسه السبع ) هو المختارُ الفصيحُ في معناه .

(١) ينظر : بيان إعجاز القرآن ٤١ ، ٤٢ .

(٢) من الطويل ، ذكّره أبو هلال العسكري بدون نسبة في ( جمهرة الأمثال ) ٢ / ٦١ عند مثل ( أعق من ذئب ) رقم ( ١٣٧٠ ) ، وذكره الزمخشري كذلك بدون نسبة عند مثل ( أَلَمَ مِنْ نَيْب ) قال : ( لأنه لا يتجافى عن التعرّض لِمَا يَتَعَرَّضُ لَهُ وَقَتًا مِنْ أَوْقَاتِهِ ، وَرِيْمَا عَرَّضَ لِلإِنْسَانِ اثْنَانِ ، فَتَسَانَدَا وَأَقْبَلَا عَلَيْهِ إِقْبَالًا وَاحِدًا ، فَإِذَا أَدْمَى أَحَدُهُمَا وَتَبَّ عَلَيْهِ الْآخَرُ فَمَزَقَهُ وَأَكَلَهُ ، وَتَرَكَ الإِنْسَانَ ) ، المُسْتَقْصَى فِي أَمْثَالِ الْعَرَبِ لِلْعَلَامَةِ جَارِ اللَّهِ الزَّمْخَشَرِيِّ ١ / ٢٩٩ - ١٣٨١ هـ ١٩٦٢ م ، وقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني هذا البيت ضمن أحد عشر بيتاً معزّوةً إلى زينب بنت الطُّفَيْرِيَّةِ ، وذكر نسبتها إلى غيرها ، ينظر : الأغاني ٨ / ١٩١ ، ١٩٢ .

[ من البسيط ]

٢ - وقول الآخر :

أبا خُرَاشَةَ أَمَا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمْ الضَّبْعُ (١)  
وليس المراد كذلك أَنَّ الضَّبَاعَ تَأْكُلُ الْقَوْمَ كَافَّةً ، بل إِنَّمَا الْمَعْنَى أَنَّهَا  
تَعْبَثُ فِيهِمْ وَتَفْسِدُهُمْ قَتْلًا وَفَرَسًا كَالذَّنَابِ (٢) .

وفي النهاية نستطيع أن نقرر أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ قَدْ اخْتَارَ مِنْ  
بَيْنِ الْخِيَارَاتِ الْمُغْوِيَةِ كَلِمَةَ " أَكَلٌ " ، وَأَنَّ هَذَا الْاِخْتِيَارَ هُوَ الَّذِي  
يَتَلَاءَمُ مَعَ التَّأْلِيفِ الَّذِي جَاءَتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ ، وَلَا لَفْظٌ يَحُلُّ  
مَحَلَّهَا الْبِتَّةَ ، وَهَذَا مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ الْبَلَاغَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ، وَدَلِيلٌ عَلَى  
إِعْجَازِهِ ، فَلَا يَوْجَدُ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى تَحْقِيقِ ذَلِكَ فِي عَمُومِ كَلَامِهِ ، مَهْمَا  
أُوتِيَ مِنْ أَدْوَاتِ الْفِصَاحَةِ وَالْبَيَانِ .

---

(١) من الشواهد النحوية ، نسبه سيبويه إلى عباس بن مرداس (ؓ) ( الكتاب ١ /

٢٩٢ ) - تح : عبد السلام هارون - ط : الثالثة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م - مكتبة

الخانجي بالقاهرة ، وينظر : خزنة البغدادي ٤ / ١٣ - ١٩ .

(٢) الضَّبْعُ : إِذَا وَقَعَتْ فِي الْغَنَمِ عَائَتْ - أَي : أَفْسَدَتْ - ، وَلَمْ تَكْتَفِ بِمَا يَكْتَفِي بِهِ

الذئب ، وَمِنْ إِفْسَادِهَا وَإِسْرَافِهَا فِيهِ اسْتَعَارَتْ الْعَرَبُ اسْمَهَا لِلْمَسْئَةِ الْمَجْدِبَةِ فَقَالُوا : أَكَلْنَا

الضَّبْعُ ، يَنْظُرُ : خَزَنَةُ الْبَغْدَادِيِّ ٤ / ١٧ .

## الخاتمة

- الحمد لله رب العالمين ، له الحمد في السموات والأرض ،  
وله الحمد في الأولى والآخرة ، وهو على كل شيء قدير . ، وبعد :
- فقد توصل هذا البحث إلى بعض النتائج ، ومن أبرزها :
- ليس كل ما في التراث مُسلّمًا مقبولًا ، ولا كل ما هو حديث مخالفًا مرفوضًا .
  - يجب قراءة كتب التراث بعينٍ فاحصةٍ متأنيةٍ ، فقد يوجد فيه ما توصل إليه النقد الحديث عند غير العرب .
  - " البلاغة القديمة " لم تَمُتْ ، ولم يكن لها وريثٌ شرعيٌّ هو " الأسلوب " ، ولكنها هي الأصل ، والأسلوبُ أخذُ غصونها ، فإذا كانت " البلاغة " تعني المطابقة لمقتضى الحال ، فإن " الأسلوب " طريقةٌ من الطرق التي تتمُّ بها تلك المطابقة .
  - مفهوم " الأسلوب " كان واضحًا في أذهان علمائنا القدماء ، ومنهم " الخطابي " ، كأقرب ما يكون عليه في العصر الحديث .
  - اختيار الكلمة المفردة من دون غيرها مما هو قريب منها في الدلالة مظهرٌ أسلوبِيٌّ حديث ، وقد وُجِدَ - قبلُ - عند الإمام الخطابي ، وجعلته من مظاهر إعجاز القرآن الكريم .
  - لا ينحصر " الأسلوب " فيما يكسر القواعد اللغوية ، أو ما يُسمَّى بـ ( الانحراف ) ، أو ما يُؤثّر عاطفيًا على المتلقّي .
  - كلام الصحابة ( رضي الله عنهم ) منه ما يحمل أسرارًا بلاغية تستحق الدراسة ، ومنه ما يتضمّن قواعد تُذكر بما أرساه الصديق (رضي الله عنه) من قاعدة " كمال الانقطاع مع الإيهام " .

- انتفاء الترادف بين الكلمات الفردة مظهرًا من مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم ودليلًا عليه .
  - القرآن المعجز قد أكسب بعض المفردات دلالات لم تكن لها في مقامات استعمالها من قبل .
- والله الكريم أسأل أن يعلمنا ما ينفعنا ، وأن يهدينا إلى ما فيه  
رضاه.
- وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن  
تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

حسني السيد محمد التلاوي

## المراجع

أولاً : القرآن الكريم .

### ثانياً : الحديث الشريف

- ١- صحيح البخاري ، بشرح أحمد بن حجر العسقلاني المسمّى فتح الباري - المكتبة السلفية .
- ٢- صحيح مسلم بشرح النووي - ط : الأولى ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م - المطبعة المصرية بالأزهر .

### ثالثاً : الكتب

- ١- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، لصتيق بن حسن القنّوجي - أعدّه للطبع : عبد الجبار زكار - ١٩٧٨ م - منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق .
- ٢- الاتجاه الأسلوبى في النقد الأدبى لشفيح السيد - دار الفكر العربي - القاهرة .
- ٣- اتجاهات النقاد العرب في قراءة النصّ الشعري الحديث لسامي عباينة - ط : الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م - عالم الكتب الحديث - إربد - المملكة الأردنية الهاشمية .
- ٤- أثر القرآن في تطور النقد العربي لمحمد زغلول سلّام - ط : الأولى ١٩٨٢ م - مكتبة الشباب - المنيرة - القاهرة .
- ٥- أساس البلاغة لجار الله الزمخشري ، ت : محمد باسل عيون السود - ط : الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

- ٦- أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين ابن الأثير الجَزْرِي - ت : محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- ٧- أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني - ت : الشيخ محمود شاكر - ط الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م - دار المدني بجدة .
- ٨- الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية لأحمد الشايب - ط : الثامنة - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م - مكتبة النهضة المصرية .
- ٩- الأسلوبية الرؤية والتطبيق ليوسف أبو العدوس - ط : الأولى ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧ م - دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة .
- ١٠- الأسلوبية لبيير جيرو - ترجمة منذر عياشي - ط : الثانية ١٩٩٤ م - مركز الإنماء الحضاري .
- ١١- الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية - لفتح الله أحمد سليمان - ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م مكتبة الآداب .
- ١٢- الأسلوبية مفاهيمها وتحليلاتها لموسى سامح ربابعة - ط : الأولى ٢٠٠٣ م - دار الكندي للنشر والتوزيع - إربد - الأردن .
- ١٣- الأسلوبية والأسلوب لعبد السلام المسدي - ط الثالثة - الدار العربية للكتاب .
- ١٤- الأسلوبية والخطاب الشعري " الشريف الرضي " نموذجاً لمحمود أحمد الطويل - الهيئة العامة لقصور الثقافة - كتابات نقدية - العدد ١٥٨ .
- ١٥- الإصابة في تمييز الصحابة لشهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني - ت : طه محمد الزيني - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٧ م - مكتبة ابن تيمية - القاهرة .

- ١٦- الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم - لمحمد محمد أبو موسى - ط: الثالثة ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م - مطبعة وهبة بالقاهرة .
- ١٧- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية وبيانية - لعائشة بنت عبد الرحمن - الطبعة الثالثة - دار المعارف .
- ١٨- إعجاز القرآن لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلائي - ت : السيد أحمد صقر - دار المعارف بمصر .
- ١٩- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين لخير الدين الزركلي - ط: ٧ - ١٩٨٦ م - دار العلم للملايين - بيروت.
- ٢٠- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني - ت : عبد أ علي مهنا وسمير جابر - ط: الثانية ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م - دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٢١- أمالي السهيلي في النحو واللغة والحديث والفقہ - ت : محمد إبراهيم البنا - مطبعة السعادة - القاهرة .
- ٢٢- إنباه الرواة على أنباه النحاة لعلي بن يوسف الفطحي - ت : محمد أبو الفضل إبراهيم - ط : الأولى-١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م - دار الفكر العربي - القاهرة .
- ٢٣- الأنساب للسمعاني - تقديم وتعليق : عبد الله عمر البارودي - ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م - دار الجنان - بيروت - لبنان .
- ٢٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بـ( تفسير البيضاوي ) لناصر الدين عبد الله البيضاوي - إعداد وتقديم / محمد عبد الرحمن المرعشلي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان .
- ٢٥- الإيضاح للخطيب القزويني ( ضمن شروح التلخيص ) - دار السرور - بيروت - لبنان .

٢٦- بُغية الوعاة في طبقات اللُغويين والنُحاة لجلال الدين السيوطي - ت  
: محمد أبو الفضل إبراهيم - ط : الرابعة - دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م

٢٧- البلاغة والأسلوبية لمحمد عبد المطلب ، ط: الأولى ١٩٩٤ -  
الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان .

٢٨- بيان إعجاز القرآن للخطّابي ( ضمن : ثلاث رسائل في إعجاز  
القرآن ) ت : محمد خلف الله ، ومحمد زغول سلّام - ط الرابعة - دار  
المعارف .

٢٩- البيان والتبيين للجاحظ - ت : عبد السلام محمد هارون - ط :  
السابعة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م - مكتبة الخانجي بالقاهرة .

٣٠- تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الحسيني  
الزبيدي - ت : عبد الستار أحمد فراج - ط : الأولى ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥  
م - مطبعة حكومة الكويت .

٣١- التحرير والتتوير لمحمد الطاهر ابن عاشور - ١٨٨٤ م - الدار  
التونسية للنشر - تونس .

٣٢- التركيب اللغوي للأدب بحث في فلسفة اللغة والاستطيقا للّطفي عبد  
البيديع - ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م - دار المريخ للنشر - الرياض .

٣٣- تفسير ابن عربي بهامش تفسير الخازن المعروف بـ ( لباب التأويل  
في معاني التنزيل ) - ط : حسن حلمي الكتبي ومحمد حسن جمالي الحلبي  
١٣١٠ هـ .

٣٤- تفسير أبي السعود أو : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم  
لأبي السعود محمد العمادي - ت : عبد القادر أحمد عطا - مكتبة الرياض  
الحديثة بالرياض ، ومطبعة السعادة بالقاهرة .



- ٣٥- تفسير البغوي ( معالم السنن ) لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي  
 - ت : محمد عبد الله النمر ، وعثمان جمعة ضميرية ، وسليمان مسلم  
 الحرش - ١٤٠٩ هـ - دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة  
 العربية السعودية .
- ٣٦- التفسير البياني للقرآن الكريم للدكتورة عائشة بنت عبد الرحمن - ط  
 الخامسة - ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م - دار المعارف .
- ٣٧- تفسير الخازن المسمى : ( تفسير القرآن الجليل ) والمسمى : ( لباب  
 التأويل في معاني التنزيل ) لعلي بن محمد البغدادي المعروف بالخازن -  
 ط: حسن حلمي الكتبي .
- ٣٨- تفسير الطبري ( جامع البيان عن تأويل القرآن ) لأبي جعفر محمد  
 بن جرير الطبري - ت : محمود محمد شاكر ، وأحمد محمد شاكر - ط :  
 الثانية - مكتبة ابن تيمية - القاهرة .
- ٣٩- تفسير الطبري ( جامع البيان عن تأويل القرآن ) لأبي جعفر محمد  
 بن جرير الطبري - ت : عبد الله عبد المحسن التركي ، بالتعاون مع  
 مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية - ط : الأولى ١٤٢٢ هـ -  
 ٢٠٠١ م - دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة .
- ٤٠- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ت : محمد خلف الله ، ومحمد  
 زغلول سلّام - ط : الرابعة - دار المعارف .
- ٤١- الجامع لأحكام القرآن والمُتَبَيَّنُ لِمَا نَصَمْتَهُ مِنَ السَّنَةِ وَآيِ الْفَرْقَانِ  
 لأبي عبد الله محمد القرطبي - ت : عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخر  
 - ط : الأولى ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦ م - مؤسسة الرسالة .

٤٢- جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري - ت : أحمد عبد السلام ،  
وآخر - ط : الأولى ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م - دار الكتب العلمية - بيروت  
- لبنان .

٤٣- جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن دريد - ط : الأولى ١٣٤٤ هـ -  
مطبعة مجلس دائرة المعارف - حيدر آباد .

٤٤- الجنى الداني في حروف المعاني للحسن بن قاسم المرادي - ت :  
فخر الدين قباوة ، و محمد نديم فاضل - ط : الأولى ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م  
- دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

٤٥- حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي - ت : محمد  
عبد القادر شاهين ط : الأولى ١٤١٩ هـ ١٩٩٩ م - دار الكتب العلمية -  
بيروت - لبنان .

٤٦- الحيوان للجاحظ - ت : عبد السلام محمد هارون - ط : الثالثة -  
١٣٨٥ هـ ١٩٦٦ م - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي  
وأولاده بمصر .

٤٧- خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي - ت :  
عبد السلام محمد هارون - ط : الرابعة ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م - مكتبة  
الخانجي بالقاهرة .

٤٨- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأحمد بن حجر العسقلاني -  
١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م - دار الجيل - بيروت .

٤٩- دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني - بشرح الشيخ محمود  
محمد شاكرا ٢٠٠٠ م - الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٥٠- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ، ت : محمد حسين .

- ٥١- ديوان الخنساء بشرح ثعلب - ت : أنور أبو سوَيْلم - ط : الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م - دار عمّار للنشر والتوزيع .
- ٥٢- ديوان العباس بن الأحنف ، شرح وتحقيق : عاتكة الخزرجي - ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م - دار الكتب المصرية .
- ٥٣- ديوان المثلّمس الضبّعي - ت : حسن كامل الصيرفي - ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م - جامعة الدول العربية - معهد المخطوطات العربية .
- ٥٤- ديوان أوس بن حَجَر - ت : محمد يوسف نجم - ط : الثالثة - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م - دار صادر - بيروت .
- ٥٥- ديوان مَعْن بن أوس ، صنعة : د. نوري حمودي القيسي ، و: حاتم صالح الضامن - ١٩٧٧ م - مطبعة دار الجاحظ - بغداد .
- ٥٦- رصف المباني في شرح حروف المعاني للإمام أحمد بن عبد النور المالقي - ت : أحمد محمد الخراط - ط : الثالثة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م - دار القلم - دمشق - سورية .
- ٥٧- سر الفصاحة لعبد الله ابن سنان الخفاجي - ط : الأولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- ٥٨- سير أعلام النبلاء - ط : الثالثة - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م - مؤسسة الرسالة .
- ٥٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لشهاب الدين بن عبد الحي ( ابن العماد الحنبلي ) - ت : عبد القادر الأرنؤوط ومحمد الأرنؤوط - ط : الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م - دار ابن كثير - دمشق وبيروت .
- ٦٠- شرح الرضي على الكافية - ت : يوسف حسن عمر - ط : الثانية ١٩٩٦ م - منشورات جامعة قاز يونس بنغازي .

- ٦١- شروح التلخيص لـ ( السبكي والتقناتزاني والمغربي ) - دار السرور - بيروت - لبنان .
- ٦٢- الشعر والشعراء لابن قتيبة - ت : أحمد محمد شاكر - دار المعارف - جمهورية مصر العربية .
- ٦٣- الصاحبى فى فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب فى كلامها لأحمد بن فارس ، ت : عمر فاروق الطباع - ط : الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م - مكتبة المعارف - بيروت .
- ٦٤- الصّاح ( تاج اللغة وصحاح العربية ) لإسماعيل بن حماد الجوهري - ت: أحمد عبد الغفور عطار - ط : الرابعة ١٩٩٠ م - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان.
- ٦٥- الصناعتين الكتابة والشعر لأبى هلال العسكري ، ت : محمد على البجاوى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم - ط : الأولى - ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م - دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابى الحلبي وشركاه .
- ٦٦- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لمحمد السخاوي - دار الجيل - بيروت .
- ٦٧- طبقات الشافعية الكبرى - ت : محمود محمد الطناحي ، وعبد الفتاح محمد الطلو - ط : دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابى الحلبي
- ٦٨- طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلّام الجمحي - ت : الشيخ محمود محمد شاكر - دار المدني بجدة - المملكة العربية السعودية .
- ٦٩- عربية القرآن لعبد الصبور شاهين - مكتبة الشباب بالمنيرة بالقاهرة
- ٧٠- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته لصالح فضل - ط : الثالثة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م - النادي الأدبي الثقافي .

- ٧١- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده للحسن بن رشيق القيرواني -  
 ت : محمد محيي الدين عبد الحميد - ط : الخامسة - ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م -  
 دار الجبل - بيروت - لبنان .
- ٧٢- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي - ت : عبد الحميد هنداوي - ط :  
 الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- ٧٣- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري - ت : محمد إبراهيم سليم -  
 دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة .
- ٧٤- في النصح الأدبي دراسات أسلوبية إحصائية لسعد مصلوح - ط :  
 الثالثة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م - عالم الكتب - القاهرة .
- ٧٥- قضايا الشعر الحديث لجهاد فاضل - ط : الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م -  
 دار الشروق - بيروت ، والقاهرة .
- ٧٦- كتاب الطبقات الكبير لابن سعد الزهري - ت : د علي محمد عمر  
 - ط : الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م - الخانجي بالقاهرة .
- ٧٧- الكتاب لسبويه ١ / ٢٩٣ - ت : عبد السلام محمد هارون - ط :  
 الثالثة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م - مكتبة الخانجي بالقاهرة .
- ٧٨- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه  
 التأويل لمحمود بن عمر الزمخشري - ت : عادل أحمد عبد الموجود ، و  
 علي محمد معوض ، وفتح عبد الرحمن أحمد حجازي - ط : الأولى  
 ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م - مكتبة العبيكان بالرياض - المملكة العربية  
 السعودية .
- ٧٩- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لمصطفى بن عبد الله  
 الشهير بحاجي خليفة ، وبكاتب جلبي - دار إحياء التراث العربي -  
 بيروت .

٨٠- لسان العرب لابن منظور ط : دار المعارف .

٨١- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير - ت :  
أحمد الحوفي ، وبدوي طبانه - دار نهضة مصر للطبع والنشر - الفجالة  
- القاهرة .

٨٢- مجمل اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس - ت : زهير عبد  
المحسن سلطان - ط : الثانية ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م - مؤسسة الرسالة  
للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان .

٨٣- المحكم والمحيط الأعظم لعلي بن إسماعيل بن سيده - ت :  
عبد الحميد هنداوي - ط: الأولى - ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م - دار الكتب  
العلمية - بيروت - لبنان .

٨٤- المحيط في اللغة للصاحب إسماعيل بن عباد - ت : محمد حسن  
آل ياسين - ط : الأولى ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م - مطبعة المعارف -  
بغداد .

٨٥- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي - ط : الأولى ١٩٩٣ م  
- إخراج دائرة المعاجم في مكتبة لبنان - مكتبة لبنان ناشرون .

٨٦- مداخل إعجاز القرآن للشيخ محمود محمد شاكر - ط : الأولى  
١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م - مطبعة المنّي - المؤسسة السعودية بمصر .

٨٧- المُستَقْصَى في أمثال العرب للعلامة جار الله الزمخشري - ١٣٨١  
هـ ١٩٦٢ م - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - الهند .

٨٨- المصباح في شرح المفتاح لعلي بن محمد الجرجاني ( السيد الشريف  
( - رسالة دكتوراه - إعداد / يوكسل جليك - استانبول ٢٠٠٩ م - جامعة  
مرمرة - تركيا .

- ٨٩- معجم الأدباء ( إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ) لياقوت الحمّوي  
 - ت : إحسان عباس - دار صادر - بيروت .
- ٩٠- معجم البلدان لياقوت الحمّوي - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م - دار صادر  
 - بيروت .
- ٩١- معجم المؤلّفين ( تراجم مُصنّفِي الكتب العربية ) لعمر رضا كخّالة -  
 مؤسسة الرسالة .
- ٩٢- معجم المصطلحات البلاغية لأحمد مطلوب - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م  
 - المجمع العلمي العراقي .
- ٩٣- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب لمجدي وهبة ، وكامل  
 المهندس - ط : الثانية ١٩٨٤ م - مكتبة لبنان - بيروت .
- ٩٤- المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية - ط :  
 الرابعة ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م - مكتبة الشروق الدولية .
- ٩٥- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس - ت : عبد السلام  
 محمد هارون - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م - دار الفكر للطباعة والنشر  
 والتوزيع .
- ٩٦- مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام الأنصاري - شرح  
 وتحقيق : عبد اللطيف محمد الخطيب - ط : الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م  
 - التراث العربي - الكويت .
- ٩٧- مفاتيح الغيب الشهير بـ ( التفسير الكبير ) للإمام فخر الدين محمد  
 الرازي - ط : الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م - دار الفكر للطباعة والنشر  
 والتوزيع .
- ٩٨- مفتاح العلوم ليوسف السكّاكي - ت : أكرم عثمان يوسف - ط :  
 الأولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م - مطبعة دار الرسالة - بغداد .

- ٩٩- المفردات في غريب القرآن للحسن بن محمد ( المعروف بالراغب الأصفهاني ) - مكتبة نزار مصطفى الباز .
- ١٠٠- مقتضى الحال بين البلاغة القديمة والنقد الحديث للدكتور / إبراهيم محمد الخولي - ط : الأولى ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م دار البصائر .
- ١٠١- المقدمة لعبد الرحمن بن خلدون - حققها وقدم لها وعلق عليها : عبد السلام الشدادي .
- ١٠٢- الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء لمحمد المرزباني - ١٣٤٣ هـ - جمعية نشر الكتب العربية بالقاهرة .
- ١٠٣- النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي لمحمد حماسة عبد اللطيف - ط : الأولى - ١٩٨٣ م .
- ١٠٤- نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم لأحمد سيد محمد عمار - ط : الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م - دار الفكر المعاصر - بيروت - لبنان ، ودار الفكر دمشق - سورية .
- ١٠٥- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي - دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة .
- ١٠٦- النظم وبناء الأسلوب في البلاغة العربية لشفيع السيد - مكتبة الآداب - القاهرة .
- ١٠٧- نقد الشعر لقدامة بن جعفر ، ت : محمد عبد المنعم خفاجة - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- ١٠٨- النكت في إعجاز القرآن للرّماني ( ضمن : ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ) ت : محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سلّام - ط : الرابعة - دار المعارف .



- ١٠٩- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان - ت : إحسان عباس دار صادر - بيروت .
- ١١٠- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر للثعالبي - شرح وتحقيق : مفيد محمد قميحة - ط : الأولى-١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م - دار الكتب العلمية - بيروت .

انتهت المراجع

### المحتويات

المقدمة .....	٣ - ٤
المبحث الأول : الأسلوب والبلاغة .....	٥ - ١٩
المبحث الثاني : الكلمة المفردة والإعجاز .....	٢٠ - ٣٣

المبحث الثالث : الخطابي ورسائله .....	٣٤ - ٤٩
المبحث الرابع : دلالة الكلمة في الأسلوب القرآني عند الخطابي ....	٥٠ - ٩١
النموذج الأول : .....	٥٢ - ٥٨
النموذج الثاني : .....	٥٩ - ٦٧
النموذج الثالث : .....	٦٨ - ٧٢
النموذج الرابع : .....	٧٣ - ٨٢
النموذج الخامس : .....	٨٣ - ٩١
الخاتمة .....	٩٢ - ٩٣
المراجع .....	٩٤ - ١٠٦
المحتويات .....	١٠٧